



# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (العدد رقم: 87)

ذو الحجة 1443هـ - يوليو 2022م

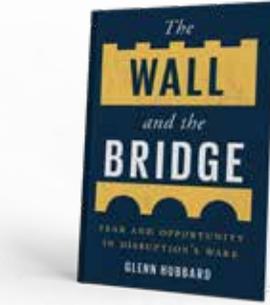
## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الذين أثرت الثقافة العربية في شعرهم: صموئيل لوفر (1797) (Samuel Lover)- وهو شاعر، وروائي، وكاتب مسرحي، ورسام، وكاتب أغان إيرلندي. كان غزير الإنتاج في هذه المجالات الإبداعية، وقد شهد له النقاد بالعبقرية والتميز فيها، إضافة إلى أنه انتصر في أغانيه وبورتريهاته لطبقة الفلاحين والفقراء في إيرلندا.

نترجم له هذه القصيدة الرائعة بعنوان «العربي»:

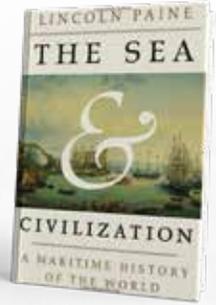
حَمارة القَيْظِ طَهْرًا فِي الفَلا اشتعلتْ،  
وراحلٌ وَصَلَ البُئْرَ التي رَغَبَا  
لكنّه أَمَلٌ سَلاهُ، كان سُدَى  
من يأملُ القَمَرُ والماءَ الذي دَهَبَا!  
وإذ دعا اللّهُ مُعَمّى لا جِراكَ به  
أتاه من عَرَفَ الصحراءَ والعَرَبَا  
ما خِيبَ الراحلَ المِسكينَ فِي أَمَلٍ  
وباركَ اللّهُ، فِي قِرْبَاتِهِ جَلَبَا  
«أشرب!» فرغَمَ رَحيلِي فِي بدايَتِهِ  
وإنني سائِمٌ أفدي الذي سَغَبَا  
وموطني وعيالي لا أطولُهُم  
أسقيكَ ماءً زَلا لا يُطفئُ الوَصْبَا  
«كلّا»، ودَعَنِي أقضي هاهنا أَجَلِي  
لديكَ أَحوجُ مِنّي، قال من تَعَبَا  
لديكَ دُرَيْةٌ تَرجو لِقائَكَ عَدَا  
وإنني واحدٌ، لا طفلٌ لا نَسَبَا  
«أشرب!» ولا تَحشَ إنني راجعٌ أَبَدَا  
دُرَيْتِي آفَتَنِي فِي الرَحيلِ أَبَا  
وقنْ أُنَى اليَوْمِ بي يُنجيكَ من عَطَشِ  
سيجعلُ الدُرَبَ لي فِي البِيدِ مُرتَقَبَا



الجدار والجسر.. الخوف والفرصة في  
يقظة الاضطراب  
جلين هوبارد



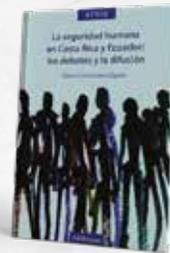
تكوين الفكر  
القومي العربي  
أنطونينو بلليباري



البحر والحضارة.. تاريخ بحري للعالم  
لينكولن بين



ظهور النبي.. قيام الإسلام في  
عيون النصارى واليهود  
للمؤرخ الأمريكي ستيفان شوميكر



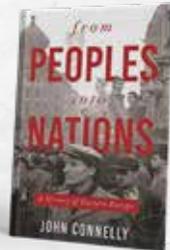
الأمن البشري في الإكوادور  
وكوستاريكا.. جدل وانتشار  
أليكسياس كولميناريس ثاباطا



نفايات المناجم والمياه والهندسة  
الإيكولوجية واستخراج المعادن..  
مارجريت كالين سيدنفادن  
ويليام ن. ويلر



مستقبل العمل  
خوان سيباستيان كاربونيل



من الشعوب إلى الأمم..  
تاريخ أوروبا الشرقية  
جون كونيلي



المرأة والتقنيات الإنجابية..  
أنيت بيرفوت وديريا غونغو



النظرية النقدية والمادية  
الجديدة  
تأليف جماعي

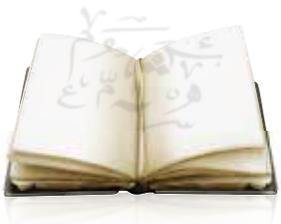


الجامعات الروسية..  
كيف تعمل؟  
ياروسلاف كوزمينوف وماريا  
يودكيفيتش

## إصدارات عالمية جديدة



الصفحة الأخيرة



## البحر والحضارة.. تاريخ بحري للعالم لينكولن بين

محمد الشيخ \*

كُتِبَ الكثير عن البحر -ملاحة وتجارة وجغرافية، ورسدا وصيدا وحربا- لكنَّ القليل كُتِبَ عن البحر والحضارة. وهذا الكتاب أحد أهم تلك المكتوبات، هذا إن لم يكن الأهم. وهو ملحمة -هومييرية الرؤية شاعرية النَّفس- للإنسان والبحر كُتِبَتْ بلغة العصريين تنتهي إلى القول بأنه لا البحر ينبغي له أن يقضي على الإنسان ولا الإنسان ينبغي له أن يقضي على البحر، وإنما هما كائنان هَشان، والأمانة التي حَمَلها إنسان اليوم إنما تتمثل في أن يَتَعَهَّدَ هو البحر التَّعهدَ أحسنه؛ لأن في ذلك تعهدا لنفسه.

٢- كيف يَسَرَّتْ أعالي البحار نشر اللغة والدين والقانون بين الأمم؟

٣- كيف استثمر الحكام في المبادرة الملاحية عبر سن المكوس وحماية التجارة ووظفوا آليات لدعم سلطانهم؟

ومن مزايا هذا الكتاب تلك التوليفة العجيبة بين «المعلومة» و«المروية»؛ بحيث صاغ المعلومات -وما أثارها- في شكل مرويات كل مروية تتعلق بمنطقة: من أمريكا ما قبل التاريخ إلى قريتنا العالمية اليوم -ووسع من الأفق؛ بحيث ما تناول فحسب «المياه المالحة»- البحر. وإنما الملاحة الداخلية (المياه العذبة: الأنهار، القنوات)، متصديا لبعض أو هام الغربيين؛ شأن انطباعهم الخاطئ عن الإسلام بكونه ديانة رَحَلْ قفار، بينما يحيا الكثير من المسلمين في أرخبيلات، ومثل ما أشيع عن الهندوس أنهم يحرّمون التلوج إلى البحر، بينما الكثير منهم يعيشون على جزر. وما ينتهي إليه المؤلف أن هذه «الأمارات» تدل على أن تكييف بني البشر التقني والاجتماعي مع الماء -سواء للتجارة أو للحرب أو للاستشكاف أو للهجرة- كان قوة هادية في تاريخ بني البشر. ذلك أن الحركة الملاحية كانت مركزية في نشر العديد من التقنيات والأفكار والحيوانات؛ وهذا ما لم ينتبه إليه بعض مؤرخي البشرية.

والمؤلف راوية مَفْنٌ متمكن من فنه. يأخذ بنا عبر أسلوب حكاوي من بدء مغامرة الإنسان في الماء (الفصل الأول) إلى زمننا هذا (الفصل العشرون). إذ يروي في الفصل الأول قصة مغامرة الإنسان الأولى بالإبحار، وهي مغامرة لا نعرف بدايتها على وجه الدقة، ولكن ما نعرفه أنه ما أن ألقى الإنسان بنفسه في اليم حتى استعذب الرحلة، وما فكر أبدا في أن يعود إلى ما قبل ذلك. وكان أن بدأ الأمر بأشد الزوارق بدائية، في أوقيانوس والأمريكيتين، لكن توغلها الأول في البحر وجد له أصدقاء في ثقافات أخرى. وفي الفصل الثاني يستدرك المؤلف بأن يرى أن أعظم الإمارات الأثرية والفنية الدالة على تطور المبادرة الملاحية في العالم القديم إنما أتت من مصر -وهي للمفارقة البلد الذي ارتبط أكثر بالبر- لكنَّ شعب مصر طوّر صناعة الزوارق والسفن تطورا عظيما أثر في كل مناحي حياة المصريين. ولا ينبغي لحرارة طقس البلد أن تحجب عنا عمق تعلق أهله بتجارة النهر والبحر وأثر ذلك في استقرارهم السياسي وسكينة البلد وتبادلهم مع شعوب نائية عبر البحر الأبيض المتوسط العاج بالسفن السيارة الناقلة للبشر ولل بضائع؛ بما في ذلك أطنان

ويفتح المؤلف كتابه بعبارة تحاطب القارئ: «أود أن أُعير الطريقة التي تنظر بها إلى البحر؛ خاصة الطريقة التي تنظر بها إلى خريطة العالم؛ وذلك بجعلك تركز نظرك على الأزرق الذي يشكل ٧٠٪ من الصورة الواقعة أمامك، وأن تترك نبرات البر تتلاشى». يريد إذن تطرية عين القارئ بذكري: قبل تطور السكك الحديدية في القرن ١٩ كانت الثقافة والتجارة والوباء والنزاع بعامة تسافر عن طريق البحر أكثر منه عن طريق البر. ويؤطر الكاتب كتابه ضمن «التاريخ البحري». وهو تاريخ ينضوي على البحث التولييفي في التفاعلات بين أقوام ذوي خلفيات ونزوعات متباينة. وبذلك يتجاوز تركيز المؤرخين التقليدي على الجماعات المختلفة من جانبها السياسي والديني والثقافي وقد نُظِرَ إليها، بالأولى، على المستوى المحلي أو القومي أو الجهوي. ومن مزايا التاريخ البحري أنه ملتقى مباحث ومؤلف مناطق، وهو قسم من التاريخ العالمي يتناول مواضيع شأن بناء السفن والتجارة البحرية واكتشاف المحيطات والهجرة البشرية والتاريخ الملاحى. ويقوم على مقدمة مفادها أن دراسة الأحداث التي تقع في صلة بالماء من شأنها أن تمدنا باستبصارات في شأن شؤون البشر.

ومن ثم تناول المؤرخ البحري لمباحث نظير الفنون والدين واللغة والقانون والاقتصاد السياسي. ويرى المؤلف أن من شأن هذه النظرة أن تخرج الأوربيين من ضيقة النظر إلى فسحته؛ أي مما يسميه المؤلف «رؤية العالم المتمركزة على أوروبا» القائمة على النظرة العرقية القائلة بوجود «شعوب بحر حصرية»، كما الأغريق والبريطانيون، و«شعوب غير بحرية»، كما الصينيون. ولا تصحيح عنده اللهم إلا بالأوبة إلى المظان. وهو ما تشهد عليه المصادر المتنوعة التي يُشْهِدُها. واللهم إلا بنزع الطابع السياسي عن التاريخ البحري؛ أي بما يسميه «تمرينا متورا» يؤهلنا للنظر في التفاعلات الثقافية بين الأمم والصلات العابرة للأمم من دون العودة الدائمة إلى «وهم الحدود السياسية».

وهذا الكتاب، كما يقدمه صاحبه، سعي إلى فحص كيف نسجت أقوام الصلة بالبحر والنهر، وكيف نشرت ثمار محاصيلها وصنائعها وأنظمتها الاجتماعية. من اللغة إلى الاقتصاد فالدين. وهو يركز على قضايا أساسية:

١- كيف وسَّعت المبادرة البحرية من عوالم التجارة التي تتشاطر ضروريا من الدراية بالأسواق والممارسات التجارية والملاحة وبناء السفن؟

وقلما يُفْتَحُ كتاب غربي باستشهاد لمفكر عربي. وهذا الكتاب استثناء؛ إذ يفتح بقول للمقدسي -صاحب كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»: «بيننا أنا جالس مع أبي علي بن حازم أنظر في البحر ونحن بساحل عدن؛ إذ قال لي: ما لي أراك متفكرا؟ قلت: أيد الله الشيخ، قد حار عقلي في هذا البحر لكثرة الاختلاف فيه، والشيخ اليوم من أعلم الناس به لأنه إمام التجار ومراكبه أبدا تسافر إلى أقاصيه؛ فإن رأى أن يصفه لي صفة اعتمد عليها وأرجع من الشك إليها فعل؛ فقال: على الخبير بها سقطت، ثم مسح الرمل بكفه ورسم البحر عليه».

كتاب ضخم مكوّن من عشرين فصلا، يبدأ بفصل عن إقبال الإنسان على الماء، حلوه ومالحة، عوما وإبحارا؛ وينتهي بفصل عن العالم البحري منذ الخمسينات من القرن الماضي إلى اليوم؛ فضلا عن تقديم وتهميش كثير وببليوغرافيا ثرة وكشاف مفيد. ومؤلفه باحث في تاريخ البحر -وما أقل أهل هذا التخصص. صاحب خمسة كتب مدارها على البحر -فضلا عن أزيد من خمسين مقالة ومحاضرة- أهمها الكتاب الذي بين أيدينا، وكتاب «سفن العالم: موسوعة تاريخية» (١٩٩٨). وقد نشأت فكرة كتابه لما كان مكبا على تأليف موسوعته هذه -وهي جماع سير بواخر اشتهرت بإجبابا- المجد -أو سلبا- العار؛ إذ عنت له فكرة وضع هذه «السير» في سياق تاريخي أوسع. على أن الكتاب، وعلى خلاف الموسوعة، لا يدور على السفن نفسها بقدر ما يدور على ما كانت تُقَلُّه -من بشر وثقافتهم وثمرات صنائعهم ومحاصيلهم وقطعانهم وصراعاتهم وأرائهم المسبقة وانتظاراتهم للمستقبل وذكرياتهم عن الماضي.

وينطلق صاحب الكتاب من مفارقة صارخة: نحن نحيا في عصر أثرت فيه تأثيرا عميقا مبادرة الإنسان البحرية، لكن أهمية هذا التأثير تغيرت تغيرا جذريا فحسب خلال جيلين أو ثلاثة بعد أن شهد البر ثورة تقنية أتت بالنسيان على علاقة الإنسان بالبحر. كما بتنا نرى اليوم المتعة في الإبحار حيث كان أسلافنا يرون الخطر، وصرنا نلتذد بثمار التجارة البحرية دون أن نعي بوجودها؛ وذلك حتى حين نكون ترعرعنا في مدن شكل البحر مصدر غناها. ضد هذا النسيان الجحود، ينعش المؤلف ذاكرتنا بمروية باذخة حول التاريخ البحري. وما كان هذا الكتاب تاريخا للبحر، بقدر ما هو تاريخ لصلة الإنسان بالبحر. وما كان تاريخ أي إنسان، وإنما هو بالأولى تاريخ الإنسان البحري؛ أي الإنسان من حيث هو كائن قَفَّ البحر.



المنقسمة، وازدياد نفوذ التجار الغربيين وتطلعهم إلى السيطرة على الطرق البحرية، وحدوث تسويات رغم اختلاف الملل؛ بما وشى عن بداية ميلاد القانون الدولي الذي عزز الانتشار في ما وراء البحر الأبيض. ثم يأتي العصر الذهبي لآسيا البحرية حيث انتسجت أوامر تجارة مزدهرة ربطت بين غرب وشرق أوروبا-آسيا القاصيين عبر البحر والبر، وشينا فشيئا بدأ تحول مركز التجارة من البحر الأبيض إلى المحيط الهندي، وتزايدت شهوة الغربيين إلى عطور الشرق ومواد رفاهيته؛ وفي الوقت نفسه دخلت تجارة أقاليم البحار مرحلة نضجها. وما هو كولومبوس يعبر الأطلسي وجاما يجترح طريقا جديدا بين أوروبا والمحيط الهندي وماجلان يدور حول الكوكب من الشرق إلى الغرب وأوردانيتا من الغرب إلى الشرق عابرين المحيط الهادئ. هي ذي الانتصارات الملاحية لهذا العصر، بل ولكل العصور. وهي التي مكنت من اجترار روابط جديدة بين ما لم يكن يتواصل من أقسام العالم، وقادت إلى الصعود الأوربي على خشبة العالم. وكان لهذه العزيمة ثمن أدهم أهل البحر. وبهذا دشّن «عصر التوسع» الذي لم يسبق له مثيل، لا بسبب السيولة الخارقة للناس وللأفكار وللثروات المادية، كما للنباتات والحيوانات والأدواء، والتي انتشرت انتشارها عبر العالم، ولكن أيضا لأن الأوربيين باتوا لأول مرة في طليعة العالم؛ فكان أن أنشؤوا شركات بحرية مائة لسفن ضخمة متنافسين فيما بينهم بل ومتحاربين ومتصددين للقرصنة (القرن 17).

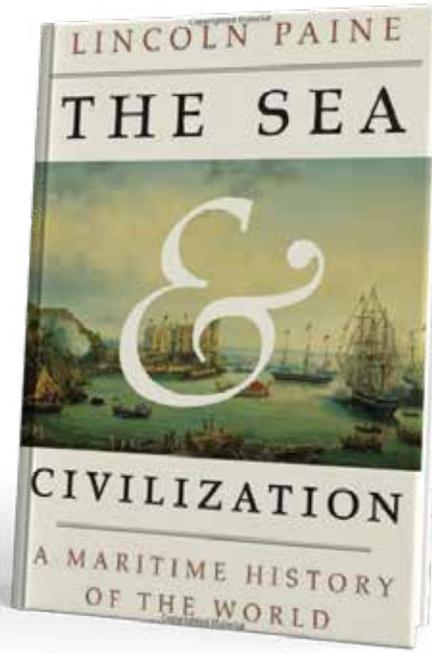
أعقب ذلك تطوير ترسانة البحار التقنية والحربية، وزيادة استكشافات البحار (علم الحيوانات، علم النباتات، على الشعوب) (القرن 18)، وكان من آثار التطوير «إلغاء المكان والزمان» كناية عن تقليص زمن الأسفار البحرية بفضل تسريع حركة السفن واختراع محركات جديدة وتطوير صناعة السفن بحيث ما عادت هي «أسوارا من خشب» (ثيموستوكس) وإنما باتت «قلاعا من حديد» (تشرشل)، وما صاحبه من فتح القارات والربط بينها وتسهيل حركة نقل البضائع والبشر؛ مما أثر على إيقاع الحياة في العالم بأسره وُبدؤ عصر العولمة، بل والعصر النووي البحري. وفي الختام، يعتقد البعض أن التغيرات التي شهدت عليها صناعة البحر وصلاتها به نزعته عن البحر قصته الرومانسية ووعوده، لكن بالنسبة إلى الكثير ما حدث أن شكّل البحر أبدا حلما رومانسيا ببلاد جديدة أو بشاره بريح تجارة؛ وذلك بالنسبة إلى العبيد والخدم والمحرومين، بقدر ما شكل رمز أناس أجنبي وأفكار غريبة وأوبئة قاتلة وأعداء أفظاظ وراء البحر. لكن في الوقت ذاته انتهينا إلى إدراك أنه بينما يظهر لنا البحر متقلبا لا يشفق، يبدو أيضا بيئة هشة قابلة أن يفسدها الإنسان، إلى درجة لم يتصورها أجدادنا، بفعل تقنياتنا.

- الكتاب: البحر والحضارة (تاريخ بحري للعالم)

الكاتب: لينكولن بين

الناشر: كنوبف

\* أكاديمي مغربي



أنهارهم، ثم استأنفوا البحار ووسعوا تجارتهم، حتى باتت الصين، على الرغم من ظاهر تحركات الأقوام الأخرى، المحرك الذي لا يتحرك، للتجارة البحرية ونشر البوذية.

ويُفرد الفصل الثامن للحديث عما يسميه: «البحر الأبيض المتوسط المسيحي والمسلم»؛ حيث يلاحظ بزوغ الأدلوجة الدينية في النزاع السياسي، وعجز الإمبراطورية البيزنطية عن مدافعة انتشار الإسلام، وإحياء المسلمين تجارة الموانئ، وتجديد تقنيات بناء السفن بالاقتصاد في المواد والجهد والمهارة والوقت؛ مما ساهم في انتشارها. على أن الصراع بين الملل أقام حواجز أمام التجارة وأدى إلى أطول الحروب البحرية في المتوسط. ورغم ذلك سعى التجار إلى المصالحة بين مختلف الملل بما خلق أنواع جديدة من تمويل التجارة وانتشار الممارسات القانونية المنذورة إلى حماية شحنات التجار واستثماراتهم. وفي الفصل التاسع يتحدث المؤلف عن أوروبا الغربية في عصر الفايكنج وعن تجارة هولندا والسويد وروسيا وطموح الحكام إلى الاستفادة من عائدات التجارة البحرية الجمركية، منبها إلى أن الفايكنج وإن اشتهروا بفظاظتهم، فإنها ما كانوا أشد عنفا من معاصريهم.

وفي الفصل الموالي، يأخذنا المؤلف إلى ما يسميه «طريق حرير البحار» في عهد هيمنة «دار الإسلام» وتوحد الصين واجترارها طريق الحرير من بر آسيا الوسطى إلى طريق الحرير عبر البحر. وإذ نشطت الأسواق البحرية عبر طريق التجارة هذا، فقد جذب ذلك التجار حول بحار الرياح الموسمية وساعد في كسب إمبراطورياتهم بعدا كونيا؛ حيث نشأت دائرة من البضائع والثقافات. ويستأنف المؤلف الحديث عن الصين وبالذات إمبراطورية تانغ (618 م - 907 م) التي بشرت بالعصر الذهبي للحضارة الصينية حيث اتسعت الرؤية وازدهرت الفنون وانتعشت الأديان ونمت الفلسفات، وتمازجت بفضل هذه الحضارة العناصر الصينية والعربية والفارسية والهندوسية كل التمازج... ويخصص المؤلف الفصول اللاحقة لمرحلة صعود الغربيين إلى مسرح العالم بعد ازدهار مدن إيطاليا الكاثوليكية

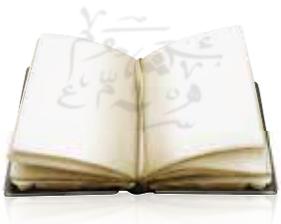
الحجارة المنقولة بغاية بناء الأهرامات. وفي حوالي 2600 قبل الميلاد، كان المصريون يروحون إلى مشرق الشمس لحمل شحنات ضخمة من الأرز، وإلى البحر الأحمر بحثا عن البخور والأحجار الكريمة والحيوانات العجيبة، وإلى إرثيريا لحمل العجائب.

وينتقل بنا المؤلف في الفصل الثالث إلى جنوب غرب آسيا، التي شكلت ملتقى للتبادل الثقافي والتجاري في العالم؛ حيث كانت تأتي السفن من أناطولية والقوقاز ومن وسط وجنوب آسيا وشبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين، ملتقية برأس خليج فارس، رابطة بين بلاد الرافدين والبراري التي تحيط بالمحيط الهندي وبحاره، فألى أرخبيل البنغال. وقد طور شعب بلاد الرافدين بدائع الحضارة؛ شأن الكتابة واستيطان المدن نهاية 3000 ق.م. وكان رائدا في الملاحة والقانون التجاري وفي الأدب على نحو ما تشهد به ملحمة جلجامش التي وجدت صدى لها في الأسطورة الإغريقية وفي أساطير الأولين اليهودية والمسيحية والإسلامية. وكانت القصص تسافر من الفرات إلى الشام فألى باقي البحر الأبيض المتوسط، وكانت أقدم هي الصلات البحرية بالشرق، عبر الخليج الفارسي إلى أراضي البحرين وعمان وجنوب فارس إلى الحدود البحرية لنهر الهندوس.

وفي الفصل الرابع، يقيمنا المؤلف في الشرق، في القرن التاسع قبل الميلاد، فألى المدن/الدول في اليونان حيث تنهض التجارة بدءا من موانئ صغرى مستقلة؛ فيجوب التجار البحر الأبيض المتوسط ناقلين البضائع والبشر والثقافات. وكان الفينيقيون واليونان الأوائل الذين أسسوا إمبراطورية مستوطنات يجوبون شواطئ صور وصيدا وقادس وقرطاجنة وبيزنطة ومرسيليا... وكانوا أوائل من بنوا السفن؛ لا سيما الحربية منها، وطوروا استراتيجيات لا تستعالمها، وأقاموا موانئ منذورة لتيسير التجارة واستكشاف البحار. لذلك ديننا للفينيقيين عظيم؛ اختراع الأبجدية التي استند إليها اليونان والرومان، لكن أولئك ما تركوا مكتوبات، بينما اليونانيون تميزوا بمكتوباتهم.

وفي الفصل الخامس ينقلنا المؤلف إلى قرطاج وروما والبحر الأبيض المتوسط (القرن الثالث قبل الميلاد) حيث تتأكل المدن الإغريقية من إدمان الحروب، وتنمو روما نموها، وتسيطر على الخطوط الملاحية في البحر الأبيض. وما كان لها أن تزدهر لولا إرادة مواطنيها في استعمال البحر للحرب والتجارة، ثم تسيدت وتمددت وغدت جيوشها بمخازن الحبوب في صقلية وإفريقيا، حتى سمى الرومان ذاك البحر «بحرنا».

وفي الفصل السادس يدير المؤلف دفة سفينته/كتابه هذه المرة نحو التاريخ البحري للمحيط الهندي المنفتح الذي اختلف عن تاريخ البحر الأبيض المنغلق، وكانت السعة هنا رحمة، وما نشبت المناقشات التي حدثت بين شعوب البحر الأبيض، وكان أن انتقلت الخيرات والأفكار انتقالا أيسر. وكان أن دارت التجارة البحرية بين محيط (المحيط الهندي) وبحرين (البحر الأحمر والبحر الأبيض) عبر خليج البنغال والخليج الفارسي، معدة بذلك تجارة ذات نَس طوليل بدءا من ميلاد الإسلام إلى وصول التجار الأوربيين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. ويخصص الفصل السابع للحديث عن الصين والبحر. وقد قارب الصينيون البحر على احتشام. ذلك أنهم آنسوا، أولا،



## تكوين الفكر القومي العربي أنطونينو بلليتاري

عزالدين عناية \*

يندرج هذا الكتاب ضمن الأعمال التاريخية السياسية التي تُتابع تشكّل الفكر القومي العربي وتطوّراته. ويحاول المؤلف الإيطالي أنطونينو بلليتاري أستاذ تاريخ الدول العربية في جامعة باليرمو، تتبّع المسار التكويني لفكرة القومية العربية؛ من حيث منشأها وتطوّرها، وصولاً إلى دراسة رموزها وأعلامها، اعتماداً على الاقتباس من مؤلفات الكتاب العرب المعنيين بالمسألة، وتحليل مقولاتهم بشأن العديد من القضايا.

يتناول شخصيات ونصوص مجموعة من الكتاب يرى المؤلف أنهم مهّدوا بأفكارهم وألهموا الفكر القومي، وهم على التوالي: عبد الرحمن الكواكبي، أمين الريحاني، عبد الحميد بن باديس، محمد كرد علي، عبد الرحمان الكيالي، منير الشريف، علال الفاسي.

ومقارنة بغيره من الأعمال التي تناولت ظهور القومية العربية، لا يعبر كتاب «تكوين الفكر القومي العربي» عن جدية في الطرح أثناء تناول الحدث القومي والفكر القومي، وهو لا يزيد على استعراض لآراء جملة من الكتاب القوميين والمناصرين للفكر القومي. حيث تغلب على الكتاب سمة استعادة مواقف الشخصيات المؤثرة في مسار تشكّل الفكر القومي أكثر منها تحليل تلك الآراء أو مناقشتها. فليست هناك منهجية واضحة في الكتاب، بل يطغى التداخل على مضامين المحاور والاستعادة لها في عديد المواضيع؛ إذ يبدو الكتاب وكأنه دروس متناثرة ملقاة على طلاب بدون خيط رابط، وهو ما يلوح من خلال طابع التجميع والعرض. وحتى الشخصيات الواردة في الفصل الأخير -الذي حاز ثلث الكتاب- فهي لا تبدو متناولة بالعمق والشمول الكافيين، سواء كان في أعمالها، أو في مؤلفاتها، أو في أنشطتها، أو في مسارها السياسي، بل تبدو الصفحات المخصصة لكل علم من تلك الأعلام مجرد تعريفات بأصحابها لا غير، لما تفتقر إليه من عمق في تحليل أفكارهم أو استعراض ظروفهم. وهو ما يجعل الكتاب يأتي بمثابة المدخل في دراسة فكرة القومية العربية.

وعلى هذا الأساس، فالكتاب من حيث القيمة العلمية والإضافة المعرفية هو متوسط القيمة، لما تخلله من نقص في بعض فصوله، وكذلك لغياب التحليل المعمق للوقائع التي تناولها، والأفكار الكبرى التي تضمنتها، حيث يطغى على الكتاب طابع التجميع والاستعادة للأحداث دون ربط واضح بينها، على غرار ما تناوله بشأن علاقة الدين بالعروبة، وعلاقة الإسلام بالبناء السياسي المشهود. فهناك عرض تاريخي سردي يخلو من التحليل المعمق لمسألة في غاية الخطورة. وتبعاً لذلك

تشكّل الدول العربية، لا سيما في أعقاب الثورة العربية والاستعمار، إلى تطوّر الحس الوطني الذي ترافق مع تطور المد القومي، وإن اختلفت المرجعيات لكلا المسارين الإيديولوجيين. كما يستحضر الكاتب ضمن تحليله حدث الوحدة/التجزئة من منظور رواد القومية العربية، والساسة، والفاعلين الاجتماعيين، ويتركز تحليله وقرائه للفكر القومي بالخصوص على مقولات ساطع الحصري، ومحمد عزة دروزة، وجورجي زيدان، وعبد الرحمان الكيالي.

ثم ينتقل في الفصل الثالث ليعالج مسألة الولاء للخلافة العثمانية، ومظاهر الوعي العربي المتنامي، وما خلفته تلك الأوضاع من تجاذبات ومواقف تبلغ حدّ التضارب والتناقض أحياناً. ويستعيد بلليتاري المواقف المتنوعة من حضور الدولة العثمانية، على مستوى سياسي وديني وثقافي، في فضاء عربي شبه موحد على مستوى اللسان، وعلى مستوى الثقافة، وعلى مستوى الدين، واختلاف الرؤى والتقديرَات بين المشرق والمغرب في ذلك. ويستحضر بشأن ذلك قراءة رواد النهضة للوجود العثماني، مردفاً ذلك بحديث عن أزمة دولة الخلافة في أواخر عهدها وأثرها على البلاد العربية، لكنه لا يغفل عما لعبته الخلافة العثمانية من حائل أمام مطامع الدول الأوروبية في فترات كانت تتطلّع فيها للغزو والاستعمار. ثم في الفصل الرابع المعنون بـ«الفضاء الحضاري.. تغيرات بشأن الإسلام والعروبة»، يطرح الكاتب نظرة علماء الدين والفقهاء للقومية، وكذلك مواقف المؤسسات الدينية في المغرب والمشرق، وقد أتى التحليل مفضلاً وغطى جوانب مهمّة في النظر إلى القومية والخلافة العثمانية في آن.

وفي الفصل الخامس المعنون بـ«العلاقة بين فكرة القومية العربية والتحليل الاجتماعي»، يتركز الحديث حول عبد الرحمن الكواكبي والمسألة الاجتماعية. ويقتبس بلليتاري جملة من آراء الكواكبي الواردة في مؤلفاته ويعيد عرضها وتحليلها وفق منهج نقدي. في حين الفصل السادس، الذي يسمح ثلث الكتاب تقريباً، فهو

ويُقر المؤلف أنّ عنوان كتابه يحاكي عنوان مؤلف المؤرخ العراقي عبد العزيز الدوري «التكوين التاريخي للأمة العربية»؛ إذ تهيمن قراءة الدوري ومقولاته، بشأن الفكر القومي، على المنهج الذي اعتمده أنطونينو بلليتاري في قراءة ظاهرة القومية العربية وعلى مجمل الطروحات التي نادت بها.

وفي مستهل الكتاب، يطرح بلليتاري جملة من الأسئلة المحورية، على غرار: هل القومية العربية هي معطى واقعي ثابت وجامد داخل التاريخ أم هي حصيلة تطوّر في السياقات التاريخية؟ بما يعني أنها حصيلة تطوّر سياسي وثقافي. نجد الكاتب في المحور الأول المعنون بـ«الوعي العربي.. ملاحظات أولية» يعالج أسئلة البدايات: ما هو المكوّن الجوهرية للقومية اللغة أم العرق؟ ويستعرض رؤى مختلفة في ذلك بحسب منطري القومية، ثم يعرّج على الإسلام متسائلاً، هل هو مكوّن حضاري وسياسي أم هو دافع وسند للغة والوحدة اللغوية؟ كما يستحضر الكاتب دور عملية التثاقف مع الغرب في إذكاء الحس القومي لدى العرب، وفي اقتباس العديد من المحاور الإيديولوجية؛ حيث يعود إلى الأحداث الكبرى في مطلع القرن التاسع، مثل الاستعمار، وضعف الدولة العثمانية، وتحفّز الدول الأوروبية لتمديد مجالها الحيوي، ليستعين بتداعياتها وأثارها على إبراز أثرها القوي على الوعي العربي.

ويستدعي في هذا السياق ما كان لاحتلال الجزائر (1830) من دور حاسم في إحداث الرجة في الكيان العربي، وتنبهه إلى ما يعتدل حوله في الساحة السياسية العالمية. ثم يُبرز أنطونينو بلليتاري من جانب آخر، أنّ القومية العربية قد لاقت اهتماماً ومتابعة في إيطاليا، من جانب سياسيين بغرض رصد تحولات العالم العربي، وكذلك من جانب مؤسسات علمية، على غرار «معهد الشرق» في روما، هذا المعهد الذي شهد تطوره مع المدّ الفاشي ولا يزال ناشطاً إلى اليوم.

ويُعنون الكاتب الفصل الثاني من مؤلفه بعنوان: «الفضاء القومي.. الوحدة والتجزئة»، ويعيد تاريخ



الغربي مع النهضة العربية، ومع القومية عامة، وهو ما وقف حائلا في بعض الأحيان دون بلوغ أهداف الكتاب المرجوة.

أقدر أن المنهج الذي اعتمده الكاتب في مؤلفه غير موفق، وغير ملائم في تناول الظاهرة القومية في البلاد العربية. فلا يكفي أن تعرض المواقف والمقولات للإحاطة بموضوع شائك. ففي عرضه اعتمد الكاتب التبسيط اللغوي، ولعل ذلك كان عن قصد بغرض إيصال المعلومة بيسر إلى القراء غير المتخصصين أو إلى الطلاب المبتدئين أيضا. هناك نقل للمصطلحات التي رافقت منشأ القومية العربية وتطورها إلى اللغة الإيطالية، توخى فيها الكاتب التفسير والشرح وذكر دائما بحمولتها السياسية.

ومن جانب آخر، نشير إلى أن دار «فرانكو أنجيلي» للنشر التي تولت طبع الكتاب هي من الدور المعروفة في إيطاليا بانشغالها بالقضايا السياسية والقانونية. وإن كنت لم أرصد بعد اهتماما إعلاميا أو أكاديميا بالمؤلف، نظرا لجدة صدور الكتاب. ربما يلحظ القارئ الغياب التام للجدول والخرائط في موضوع يستحق توظيفها لهذه الأدوات. حيث اعتمد صاحب الكتاب على اقتباس مقولات المفكرين العرب بشأن موضوع القومية وقام بتحليلها، ولم يكف نفسه عناء بلورة خلاصة من شأنها أن توظف أدوات الإيصال الحديثة.

بقي أن نشير إلى أن هناك بعض الثغرات في الكتاب أثناء استعراض المؤلف لمختلف العناصر التي شكلت الفكر القومي العربي، مثل: غياب الترابط وتعدد التكرار، علاوة على ندرة التحليل والنقد، قد قلصت من قيمة الكتاب كمرجعية في هذا الحقل. وهو ما يجعل الكتاب متوسط القيمة العلمية والمعرفية. قد يكون الكتاب مدخلا لدراسة الظاهرة القومية في البلاد العربية، ولكن لا أتصور أنه سيضيف شيئا لمنهج دراسة هذه الظاهرة، فلم نلاحظ مثلا مقارنة جادة بين ظاهرة القومية العربية والفكر القومي العربي من جانب، والظاهرة القومية في أي من بلدان أوروبا من جانب آخر، فطابع الاختزال يطغى على محاور الكتاب.

**الكتاب: تكوين الفكر القومي العربي**

**الكاتب: أنطونينو بلييتاري**

**الناشر: منشورات فرانكو أنجيلي، (ميلانو) - باللغة الإيطالية.**

**سنة النشر: 2022.**

**عدد الصفحات: 199 صفحة.**

\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



من خلال المؤلفات الأخرى، عن إلمام بالعربية. وهو في هذه الحالة أفضل بكثير من مجاليه وزملائه الذين يُدرسون القضايا السياسية العربية دون إلمام بالعربية. ويكشف ورود الكثير من المصادر العربية واستحضار مضامينها في النص الذي نستعرضه، اقتباسا وإيرادا، عن مستوى مقبول في العربية وإلمام بالمصادر العربية في الموضوع. إذ تغلب على القسم الأكبر من المراجع في كتاب «تكوين الفكر القومي العربي» المراجع العربية، وقد وردت أحيانا في لغات أجنبية أو بالعربية مباشرة. هذا بالإضافة إلى تضمّن الكتاب قائمة من المؤلفات الغربية في الشأن، معظمها مدوّنة بالإنجليزية. وضمن تلك القائمة من المراجع تم الاعتماد في الكتاب على سلسلة من المؤلفات العربية ذات الصلة بموضوع القومية، وهي في الحقيقة مصادر مهمّة، ويقارب عددها نصف المراجع (٦٦ مرجعا ومصدرا)، راجعها المؤلف واستعان بها عند تأليف كتابه. ولعلها الميزة الأبرز لدى هذا الكاتب مقارنة بغيره من الكتاب الإيطاليين الذين يتناولون قضايا العالم العربي السياسية والاجتماعية في غياب المراجع العربية.

هذا وقد تضمّن الكتاب فهرسا بأسماء الأعلام، إضافة إلى جرد بأهم الأحداث التاريخية على مدى الصفحات (١٥-٢٣)، ولكن الكتاب خلا من سائر أنواع الفهارس الأخرى سواء كانت للمصطلحات أو ما شابهها.

والشيء اللافت في تناول موضوع تكوين الفكر القومي العربي مع الكاتب أنطونينو بلييتاري، هو خلوه من نزعة المركزية الغربية التي غالبا ما تطفو لدى الكتاب الغربيين عند تناول مثل هذه المواضيع السياسية. لكن ما يلوح جليا في كتابه هو غياب أي نزعة نقدية للتعاوي

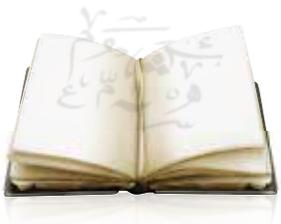
أرى تباينا بين ما عرضه الكاتب وبين ما أفصح عنه في مستهل كتابه، من تقصّده دراسة ما سماه «تكوين الفكر القومي العربي- الأصول التاريخية الثقافية والعناصر المكونة».

وإن أبدى المؤلف استعادة في ثنايا مؤلفه للجدل بين الخطّ القومي ذي النزعة الدينية، مركزا بالأساس على رؤية قسطنطين زريق في تناوله مسألة القومية ومفهوم الإسلام؛ باعتباره عربيا مسيحيا. وعلاوة على، استعادة مسائل شبيهة كمفهوم القطرية، ومفهوم الأمة، ومسألة الطائفية، وتعدد اللغات داخل المجتمعات العربية، فقد غلب السرد التاريخي دون التعمق في أبعاد تلك القضايا وما لها من أثر واضح على السياق القومي العام.

لم يتعرّض الكاتب إلى مساهمة الساسة العرب، بعد رحيل الاستعمار، في إذكاء الجدل حول موضوع القومية، وإنما قصر جلّ اهتمامه على الطروحات النظرية كما ارتأى، مبرّرا ذلك برغبته في البقاء في حيز الأفكار والمفكرين. وهو خيار منهجي ارتأه المؤلف، غير أنه أفقد الكتاب عنصرا مهما في علاقة الساسة بموضوع القومية، في وقت لعب فيه كثير من الحكام دورا بارزا في التحشيد للقومية أو معارضتها ومحاصرتها، بسبب اختلافات الرؤى والمواقف الإيديولوجية.

لقد ورد المنهج العام الذي اختاره الكاتب في عرض فلسفة القومية العربية مختزلا ضمن فصول الكتاب بشكل واضح، وهو ما طبع المؤلف بسمة السطحية والتسرع، وما جعل تناول أحداث ووقائع مفصلية في التاريخ العربي الحديث تأتي بشكل مبسّط ومختزل. ولعل ذلك عائد إلى أن صاحب الكتاب آثر أن يكون عمله محاولة لإلقاء نظرة عامة ومبسّطة لواقعة معقّدة، رغم ما يلوح من إلمامه الجيد بقضايا التاريخ العربي الحديث. إذ تتركز اهتمامات الكاتب في مؤلفاته المنشورة سابقا على التاريخ الحديث للعالم العربي ولا سيما منه التاريخ السياسي.

حيث يعدّ مؤلفه «مقدمة في دراسة تاريخ العالم العربي المعاصر» الصادر سنة ٢٠١٨، الخطة الموسّعة التي تناول من خلالها قضايا العالم العربي، وهو ما يجعل الكتاب الحالي الذي نتناول عرضه، بمثابة تركيز على إحدى القضايا المطروحة في كتابه السابق الذكر، وإن لم تأت بالعمق والشمول المنتظر. صحيح يدرس الكاتب التاريخ السياسي الحديث للعالم العربي، وقد سبق له أن أصدر مؤلفات أخرى لا تمت بصلة للتاريخ العربي، وهو ما يضعنا أمام افتقاد خيط ناظم بين مختلف أعماله المنشورة حتى يمكن الحديث عن مشروع فلسفي أو فكري أو ثقافي موحد يميّز به الكاتب. يكشف أنطونينو بلييتاري، سواء من خلال مؤلفه الذي نستعرضه أو



## الجدار والجسر.. الخوف والفرصة في يقظة الاضطراب

جلين هوبارد

محمد السالمي \*

دائماً ما يدور الحديث في أروقة السياسة حول من هم الرابحون والخاسرون في هذا العالم الرأسمالي التنافسي؛ فعلى رغم ما جلبته التكنولوجيا والعولمة من قفزات مذهلة في العديد من مجالات الحياة، فإن تأثيرها على الوظائف والمجتمعات سبب الإحباط في ظل غياب عنصر الحماية. لذلك، فقد حاول السياسيون الشعبيون مراراً وتكراراً معالجة هذه القضية عبر إنشاء الجدران واتباع أسلوب الحماية لعزل المجتمعات وإبعاد المنافسة. بينما يشير الخبير الاقتصادي جلين هوبارد في كتابه «الجدار والجسر» إلى أن اتباع سياسة الحماية يؤخر التكيفات المطلوبة للتعامل مع العالم المتغير باستمرار؛ حيث إن هذه السياسة في الأساس متخلفة المظهر ومقدر لها الفشل في النهاية. وفي المقابل، يروج هوبارد في كتابه إلى فوائد الاقتصاد الحر واتباع سياسة بناء الجسور لدعم الناس على تجاوز التحولات التي لا مفر منها.

تعزز متوسط النمو. ولكن يعود السؤال: لماذا لم تفعل النخب في مجال الأعمال والسياسة والاقتصاد الكثير للتعامل مع هذه الاضطرابات القوية؟ ويُلقى أحد التفسيرات باللوم على النخب الاقتصادية «الأغنياء» أو «الشركات الكبيرة» لتقلص آفاق الطبقة العاملة؛ فالكثيرون ينادون بمبدأ عدم التدخل في الانفتاح وقوى السوق؛ لكونها تستوعب العولمة والتغير التكنولوجي. ولكنها في الحقيقة قيدت فرص العمل ومكاسب الأجور التي كان ينبغي أن يحصلوا عليها جنباً إلى جنب مع مكاسب الإنتاجية في السوق. والتفسير الآخر يتعلق بمبدأ التعويض عن الإنتاجية. فعلى سبيل المثال، عند المقارنة في الإنتاجية بين العمال ذوي المهارات المنخفضة والمتوسطة مع المهارات العالية؛ بطبيعة الحال تكون مكاسب للعمال ذوي المهارات العالية أكبر لكونها معززة بطبيعتها من التجارة والتغير التكنولوجي والمعرفة. يشير مثل هذا التفسير إلى أن السؤال المهم هو ما إذا كانت الشركات الغنية أو الكبيرة لا تعوض العمال العاديين بشكل عادل مما يمكن أن تفعله السياسة العامة لتعزيز مهارات العمال لتمكينهم من أن يكونوا أكثر إنتاجية في المستقبل، أو بمعنى تكيف مهارات العمال مع الواقع المتغير بسرعة، وهذا التصور ما يدعو إليه الكتاب.

ومن المؤسف أن نرى انحصاراً كبيراً بين تحليل الاقتصاديين وما يشهده العالم الحقيقي؛ حيث يصف التحليل الاقتصادي أن المكاسب الاقتصادية تزداد مع العولمة والتغير التكنولوجي على المدى المتوسط وأن المتضررين من هذا التغير سيتكيفون مع الواقع

الجسور لمطابقة المهارات بالفرص الجديدة والتخفيف من المخاطر التي يتحملها الأفراد بسبب القوى الخارجة عن إرادتهم. وتفاقمت الاضطرابات الاجتماعية بشكل واضح نتيجة افتقار الساسة للتعامل مع ملفات التجارة الخارجية والتغير التكنولوجي، إضافة للتعاظم البطيء من الأزمة المالية العالمية في 2008م. ففي الولايات المتحدة، كان الإخفاق جلياً في التعامل مع ملف الإسكان. وفي تناقض حاد، تم تسريع الإجراءات الحكومية لإنقاذ بنوك وول ستريت والتي هي أساس الأزمة المالية. وبحلول انتخابات عام 2016، كانت منصات السياسة الاقتصادية الخاصة بالنخبة المشاركة في تلك الحملة بعيدة عن الاضطرابات الاقتصادية غير المعالجة والتي يعاني منها العديد من الأمريكيين. فعلى جانب الجمهوريين، سيطر النقاش على الإصلاح الضريبي لدعم الاستثمار والإنتاجية، إلى جانب الدعم المستمر لتوسيع الاتفاقيات التجارية. أما الديمقراطيون، فقد سيطر التأمين الاجتماعي على مناقشاتهم، لكنه لم يكن له علاقة تذكر بالتوظيف والأجور لأولئك الذين خسروا في عملية التغير التكنولوجي والعولمة، وشددوا بدلاً من ذلك على دعم الرعاية الصحية الأكبر في قانون الرعاية الميسرة دون الإشارة إلى الرعاية الاجتماعية المتعلقة بالعمل. بينما كان تركيز ترامب على ملفات الهجرة والتجارة، إضافة إلى شكوكه في النظام الاقتصادي الدولي الليبرالي، وهو ما يتناسب تماماً مع مناداة الجمهور المحيط. فعلى الرغم من معرفة أصحاب القرار بالوضع العام، فقد فشلوا في بناء الجسور لهذه الفرص التي من شأنها أن

وللتعريف بالمؤلف، فإن جلين هوبارد شغل منصب عميد كلية الاقتصاد والأعمال بجامعة كولومبيا، كما شغل منصب رئيس مجلس المستشارين الاقتصاديين لدى الرئيس جورج دبليو بوش. وبعد الحرب العالمية الثانية، نمت التجارة الدولية بشكل بارز في النظام الاقتصادي الدولي، وذلك تزامناً مع تحرير التجارة وتقليل الحواجز المتعلقة بالمسافة نتيجة الثورة التكنولوجية. وفي الوقت نفسه، أدى دخول الصين والهند إلى الاقتصاد العالمي في أواخر السبعينيات وأوائل التسعينيات على التوالي إلى توسيع نطاق التجارة بشكل كبير وذلك مع نقل وسائل الإنتاج خارج الحدود الوطنية واتساع سلاسل التوريد. كما أدت الابتكارات في مجال التكنولوجيا إلى تضخيم المكاسب من التجارة بين الأسواق العالمية. فهذه الانهيارات في الجدران (العزوف عن أسلوب الحماية) وارتفاع مستوى المكاسب تغنى بها القادة لتصوير الإنجازات. لكن قصة المكاسب هذه لم تكتمل؛ حيث أدت المنافسة التجارية العابرة للقارات إلى فقدان الوظائف وتهجير الصناعة إلى الخارج، ومع استجابة أصحاب القرار الضعيفة، نتج تفاقم انعدام الثقة في النخب المحلية والعالمية.

وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أدى انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية إلى تسريع هذه الخسائر على الولايات المتحدة بشكل كبير. وتوضح التأثيرات القوية من دخول الصين والهند في الاقتصاد العالمي الحديث على عرض العمالة العالمي وأجور العمال ذوي المهارات المنخفضة والمتوسطة. ويتطرق هوبارد إلى فشل السياسة الاقتصادية في بناء



سنوات عمل الفرد متواضع ومصمم لاقتصاد يكون فيه الانتقال من وظيفة إلى أخرى أمراً سهلاً وخالياً من القلق. تدرك مثل هذه المخططات أن التركيز الحالي على التأمين ضد البطالة والتسريح المؤقت للعمال لا يتماشى مع الاقتصاد الذي يتطلب انتقالات أكبر بكثير وإعادة تشكيل المهارات. من المؤكد أن إعداد ملايين العمال الذين فقدوا وظائفهم في الوباء للعودة مرة أخرى سيتطلب دعماً تدريبياً شاملاً.

وفي الختام، وبالنظر لتجارب الدول، فهي عادة ما تميل إلى اتخاذ السياسات كردة فعل للتعامل مع الاضطرابات، واتباع أسلوب الحمائية كونه يعمل كمسكن سريع للتهدئة. وبالتأمل في توصيات الكتاب، والسياق التشريعي والتنظيمي للولايات المتحدة فمن الصعوبة بمكان أن نراه قريباً في أروقة السياسة. في المقابل، يعطي الكتاب أبعاداً مهمة للدول النامية في رسم خارطتها الاقتصادية بما يتناسب مع التركيبة الاجتماعية والديموغرافية للسكان.

وهذا الكتاب يُعطي مجموعة من الأفكار العملية لإعادة تنظيم وترتيب الأولويات الاقتصادية وإعادة لم الشمل لعدد أكبر من الناس ويمثل تحولاً في طريقة تفكير السياسة الاقتصادية؛ فعلى الرغم من أن الانفتاح على التجارة والتغيير التكنولوجي يولد فوائد اقتصادية إجمالية كبيرة، لا يمكننا أن نأخذها على أنها سمات ثابتة لاقتصاد السوق؛ وإنما يجب أن يركز الانفتاح الجديد على تقليل الحواجز أمام التجارة والابتكار وضمان قيام الرباحين بتعويض الخاسرين. لكن التعويض ليس شياً من الربح إلى الخاسر، ولكنه مبدأ أساسي يقضي بصيغة دعم الاستعداد للتحول والتأمين الاجتماعي. وعلى الرغم من أن غيلين هوبارد قد تعرض لانتقادات بسبب أبحاثه السابقة المتعلقة بإلغاء القيود خلال الأزمة المصرفية لعام ٢٠٠٨م، حاز الكتاب على استحسان النقاد وتم تضمينه في قائمة الفايينشال تايمز لعام ٢٠٢٢م.

## الكتاب:

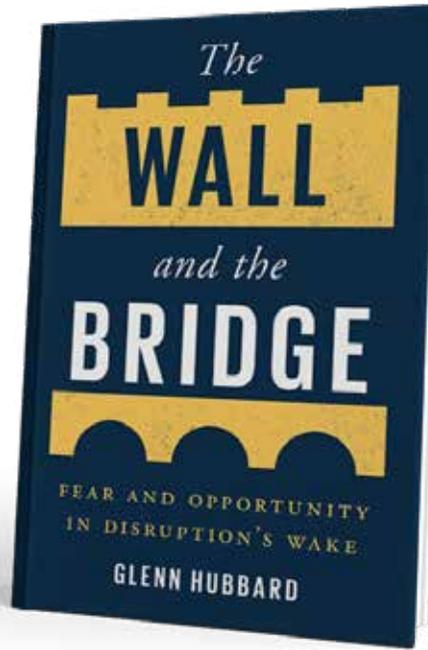
**الجدار والجسر.. الخوف والفرصة في يقظة الاضطراب**

**الكاتب: Glenn Hubbard**

**الناشر: Yale University Press- 2022**

**عدد الصفحات: 248 صفحة**

\* كاتب عُمانى



## السلع والخدمات.

... العمل مهم للغاية، ولكن لا تزال قوة المستهلك هي التي تقيس التطورات في مستويات المعيشة وتوفر مقياساً للتقدم الاقتصادي بمرور الوقت. ومن ثم فإن تصور الفاعلين الاقتصاديين بشكل أساسي من خلال أدوارهم كمستهلكين يلقي الضوء على الوسائل لتحسين مستويات المعيشة، والطرق التي تمكن صانعي السياسات من تحقيق النمو الاقتصادي. أما تصور الفاعلين الاقتصاديين أدوارهم كمنتجين هو في جوهره حجة للركود وليس لكسب المزيد.

وعلى مدى عقود، خلص الاقتصاديون إلى أن النمو يحول الاقتصادات من الزراعة إلى التصنيع إلى الخدمات. وبالتالي، يمكن استنتاج أن جميع الاقتصاديات المتقدمة هي في الأساس قائمة على قطاع الخدمات. وبالنظر إلى هذا الواقع، فإن البديل المتمثل في بناء جسر لتأهيل العمال للمهن غير الصناعية التقليدية، يقدم حلاً أفضل على المدى الطويل للمشاركة الاقتصادية وطريقة أفضل للتفكير في كيفية حمايتهم. وبدلاً من بناء جدران الحماية، نحتاج إلى تركيز متجدد على إعداد الأفراد لاقتصاد اليوم والمستقبل، وتوفير التأمين الاجتماعي للأشخاص الذين يتخلفون عن الركب.

وللخوض في توصيات الكتاب، يناهز هوبارد بتوسيع الدعم الفردي لأولئك الذين من المحتمل أن يستمر فقدان وظائفهم لفترة طويلة. في حين أن الولايات المتحدة لديها برامج تأمين اجتماعي قوية لكبار السن، فإن التأمين الاجتماعي ضد فقدان الوظيفة خلال

الاقتصادي. وهذا ما تصوره كتب الاقتصاد الكلي؛ حيث عادة ما تردّد أن الاضطرابات في النهاية تجعلنا بشكل جماعي أفضل حالاً، وأن الرباحين يمكنهم في النهاية تعويض الخاسرين.

وواقعياً، الإشارة إلى الخاسرين على أنهم يسببون تكاليف انتقالية ليس مفيداً. وبالتالي، فهذه النظرة القاصرة تعمينا عن الاستجابة الفورية وتفوت الفرص المستقبلية في خضم هذا الاضطراب. فعلى سبيل المثال، لم يتم تصميم برامج تأمين اجتماعي خاص لسوق العمل في الولايات المتحدة. ويرى الكتاب أن المطلوب هو العمل على رؤية أكثر ثراءً للتأمين الاجتماعي، بحيث تكون هناك استجابة اقتصادية حقيقية للأفراد لكونهم يتحملون تكاليف المخاطر الناجمة عن الاضطرابات الخارجية عن سيطرتهم.

فمن الرابع؟.. صحيح أن رواد الأعمال ينتفعون من مزايا الانفتاح على التجارة أو التقدم التكنولوجي ويصبحون أغنياء في هذه العملية. فعلى سبيل المثال، أسماء مثل جيف بيزوس أو بيل جيتس وغيرهما، ستحضر إلى ذهننا مدى حجم الثروة المكتسبة، ولكن أرباحهم لا تنعكس إلا بنسبة ضئيلة على المجتمع. وفي المقابل، وخلاف هذه النظرة، يرى الكاتب أن فئة الرباحين أوسع بكثير مما نتخيله. قد يؤدي اتباع سياسة بناء الجدار إلى مهاجمة هذه الفئة القليلة وجعلها أقل ثراءً، ولكن الأغلب سيفقدون المكافأة التي أنشأتها المجموعة الأولى والمتمثلة في المكاسب من الدخل والوظائف والاستهلاك.

ويمكن القول إنه ولكي يسود الرخاء، هناك حاجة إلى دعم شعبي واسع النطاق، إضافة للرغبة والإرادة للتغيير. على سبيل المثال، في سياق الوظائف يمكن التحضير للسياسة عبر تطوير المهارات ثم وضع أطر الحماية الاجتماعية لتخفيف الصدمات في حال حدوثها أثناء التحضير. وأيضاً، من غير المنطقي مطالبة الفرد أو الشركة أو الصناعة التي تكسب بتعويض الكيانات الخاسرة؛ وبدلاً من ذلك، يجب أن تحافظ السياسة العامة على فرصة التنافس على نحو تصاعدي.

ومنذ كتاب «ثروة الأمم» لآدم سميث، وضع الاقتصاديون أن هدف النظام يتمثل في تحسين الاستهلاك أي إنتاج السلع والخدمات بأقل تكلفة ممكنة وجعلها في أيدي الأفراد الذين يريدون منهم تحسين ظروفهم المعيشية. أما دور العمل في سرد الكتب الاقتصادية الجامعية، هو فقط كيف يكسب الأفراد الأموال لشراء



## مستقبل العمل خوان سيباستيان كاربونيل

سعيد بوكرامي \*

ما هي أساليب العمل في المستقبل؟ وكيف ستكون أسواق العمل الهجينة؟ من الواضح أنّ أشكالاً جديدة من العمل ومراكز العمل بدأت في الظهور والنمو المطرد؛ وبذلك تطورت تطلعات المهنيين وصارت المصطلحات الرئيسية اليوم هي المرونة والاستقلالية والحرية والخبرة.

بظهور فئات من العمال مرتبطة بمنصة اقتصاد العمل. يرى الاقتصادي غي ستاندنغ، الذي نشر الفكرة، إن «البريكاريا» تمثل طبقة اجتماعية جديدة، مجزأة، تقع بين البروليتاريا والباحثين عن العمل، وتتميز بغياب الوصول إلى الحماية الاجتماعية والمزايا المرتبطة برأس المال. أما خوان سيباستيان كاربونيل فيشكك في هذا التحليل من خلال ثلاث مجموعات من الحجج: أولاً، الصعوبات المرتبطة بتعدد تعريفات عدم الاستقرار الاجتماعي. ثم ازدياد عدد الفئات المحفوفة بالمخاطر، والتي يغذيها الخمول أكثر من تحولات العمل؛ وأخيراً، بيانات العمالة غير البديهية في مواجهة تعميم البريكاريا، لا سيما الحفاظ على مستوى الأقدمية أو توزيع عقود العمل وفقاً لمنطق الأجيال الثابتة التي تعد بدورها فئات «غير مستقرة»، لكنها جزء من البروليتاريا التي تتألف أساساً من فئات اجتماعية معينة (الشباب، النساء، المهاجرين)، ويصرح المؤلف أن عدم الاستقرار له جذور قديمة قدم الرأسمالية، ويمكن العودة إلى الثلاثين سنة العظيمة ما بين 1945 و1975 التي عرفت فترة ازدهار اقتصاديا وحمى التوظيف المستقر، لكن هذه الفترة مجرد استثناء يمكن تفسيره من خلال عوامل اقتصادية وتاريخية استثنائية.

أما الفصل الثالث، فيعالج مسألة الاقتصاد الجديد، ويحاول التراجع عن الأدلة الأخرى. حيث يذكر المؤلف أن التوظيف في الصناعة التحويلية لم يكن قط قوياً على نطاق عالمي، وأن تراجع التصنيع لا يمكن ملاحظته إلا على المستوى المحلي في الدول الغربية. من ناحية أخرى، يؤدي إنشاء المنتجات والخدمات الجديدة إلى ظهور «جيش من البروليتاريين الرقميين الجدد» (ص: 93) الذي يعمل في قلب «رأسمالية المنصات الرقمية». كما أن المنصات الرقمية تدعم عملية التسليح -بمعنى حفظ الموارد الفردية المكتشفة حديثاً- بحيث تنتج وتدير شكلاً جديداً من العمل. ويشرح خوان سيباستيان كاربونيل اللثام عن أطروحات العمل الرقمي، والتي بموجبها

تحولات العمل المتعلقة بنشر التقنيات الرقمية، بينما يقدم الفصل الأخير تأملاً سياسياً حول تطور معايير العمل والتوظيف. يصب تأمل المؤلف حول شعوره بالتناقض بين ملاحظاته التجريبية والخطاب العام، معتمداً على تقاطع مجموعة من الأعمال النظرية والتجريبية العالمية.

ويُشير الفصل الأول إلى تعريف مفهوم العمل في الديناميكيات المعاصرة للرأسمالية؛ بحيث يوضع العمل في مقام التقنيات الجديدة وتحت سمة الاستمرارية» (ص: 22). إن الأتمتة أو نظام التشغيل الآلي ظاهرة غير متجانسة ولا تؤثر على جميع الأنشطة أو جميع المنظمات بالطريقة نفسها. ويمكن أن تؤدي في بعض الأحيان إلى استبدال الأفراد ببرامج أو آلات، أو جعلهم غير مؤهلين، أو تكثيف نشاطهم أو حتى إخضاعهم لأشكال جديدة من التحكم، كما هو موضح في معظم الأبحاث حول العمل. وبالإضافة إلى ذلك، لم تنتشر بعد وسائل التطور التكنولوجي (الروبوتات الصناعية، وتطوير نظام السحب الآلي)، لأسباب اقتصادية. وبالتالي فإننا ندرك عدم وجود علاقة ميكانيكية بين الابتكار التكنولوجي وتبنيه من قبل المؤسسات الصناعية. بالنسبة للمؤلف، فإن الاعتقاد في الاستبدال الجذري للرجل بالآلات يستند إلى الفرضية الماركسية الأصلية المتمثلة في تقليص العمالة البشرية بفضل المعرفة والتكنولوجيا. ومع ذلك، فإن تاريخ الصناعة ومقاومة العمال، تؤدي في بعض الأحيان إلى تدمير الآلات (يذكر المؤلف على وجه الخصوص نموذج حركة محطمي الآلات البريطانية التي ظهرت مع بداية القرن التاسع عشر)، والتي يجب وضعها في سياقها العام المميز بالعودة إلى صاحب العمل والبيئة الاجتماعية والاقتصادية لتلك الفترة.

ويناقد الفصل الثاني «عدم استقرار العمالة» (ص: 57)، في حين أن فرضية عدم الاستقرار التي دافع عنها كثيرون منذ سبعينيات القرن الماضي يمكن تعزيزها

وفي ظل هذا الوضع، فإن القوى العاملة، والمديرين التنفيذيين على وجه الخصوص، يفكرون بشكل متزايد في العمل الحر أو نقل الرواتب أو إدارة الانتقال. ويُفضل أتباع نهج المرونة في العمل، الابتعاد عن أصحاب الأجور التقليدية. كما صنعت أساليب العمل الجديدة طرقاً جديدة للتعبير عن الذات والعيش في الحياة العملية اليومية، من حيث الجداول الزمنية وبيئات العمل. لكنها باتت محفوفة بالمخاطر، لأنها تواجه طبقة عاملة ترفض عدم الاستقرار المهني وطابع المغامرة الموهوس بتحديث وسائل العمل وتدابير الاستغناء عن الممانعين والمناهضين لمخططاتها. وفي هذا السياق، أضحت العمل موضوعاً لعدد كبير من الأطروحات الاجتماعية والاقتصادية التي تتنبأ باختفائه الوشيك تحت تأثير «الاستبدال التكنولوجي الكبير»، وكذلك بنهاية وشيكة للعمل المأجور، وكأن البشر يحملون بالتخلص نهائياً من هذا العبء الإلزامي.

ومن الجدير بالذكر أن علماء المستقبليات والمدافعين عن العالم المكرسين لا يحتكرون هذا الخطاب مطلقاً، بل يتداوله أيضاً أشد منتقدي الرأسمالية. وكما يقال «لكل ثورة تكنولوجية سراها»، ومن ذلك وابل التوقعات البعيدة كلياً عن الواقع وإكراهاته. نعلم أن العمل البشري يحتفظ بمكانة مركزية في مجتمعاتنا، لأن حدوده ومحيط السكان المعنيين به أخذون في التحول؛ وبالتالي، فإن هذا ليس حالة من عدم الاستقرار المعمم، وإنما هو نشوء لبروليتاريا رقمية ولوجستية جديدة تنتمي بقوة إلى الاقتصادات التي اضطرت بسبب صعود عمالة التكنولوجيا الكبرى.

وفي هذه الدراسة المهمة، يوضح الأكاديمي الفرنسي ذو الأصول الإسبانية خوان سيباستيان كاربونيل، أن الخطاب حول «أزمة العمل» يعيق فهم رهاناته السياسية، وأن ترويجه يمنع -أحياناً عن عمد- فتح النقاش الضروري حول طرق تحرره. ويتكون الكتاب من خمسة فصول. تُفكك الفصول الأربعة جانباً من جوانب



ويظهر الكتاب أن «مستقبل» العمل غامض من جميع جوانبه، خصوصاً من الزاوية التقنية أو التنظيمية، كما يبدي خوان سيباستيان كاربونيل تحفظاً كبيراً من بعض التحليلات السريعة، سواء كانت نقدية أو داعمة لأن العمل يبقى مكوناً أساسياً للمجتمعات البشرية، ويجب المحافظة عليه في إطار رؤية تكاملية، لا تخلو من النضالات من أجل التقدم الاجتماعي. ومع ذلك، لا يزال هناك سؤال -وهو ليس ضعفاً في الحجة بقدر ما هو حاجة إلى توسيع الفكرة، يتعلق بمكانة العمل ضمن جميع الأنشطة البشرية وتأثيرها المتبادل: في الواقع، إذا كانت فرضية مركزية وخصوصية العمل تعد مُقنعة، فلا يمكن أن تكون غير منتبهة لتطور العادات والتمثيلات المرتبطة باستعمال المعلومات أو الاستهلاك أو إضفاء الطابع الرسمي وحتى تحويل الخبرات غير الرسمية إلى أموال.

وفي هذا السياق، فإن الرغبة في زيادة وقت الفراغ بفضل تحرير الحياة العملية لا ينبغي أن تجعلنا ننسى أن هذا الحيز الزمني مشغول بالفعل بالأشياء والخدمات التي تروج لها الرأسمالية وهو منظم وممنوح بالوسائل التي يتحكم فيها الاقتصاد الجديد. إذا كانت التحولات التكنولوجية أو التنظيمية للعمل لا يمكن أن تنتج معايير اجتماعية وثقافية جديدة بالسهولة التي قد يعتقدونها المرء، فإن تلك التي تحدث خارج العمل يمكن أن تحدث آثاراً مباشرة أو غير مباشرة، على الاستقرار الاجتماعي والنمو الاقتصادي. وبعيداً عن معارضة «منطق» الاقتصاد الرأسمالي العالمي، يمكن للتخطيط المرن -على العكس من ذلك- أن يعزز شروط النمو المطرد والمنسق في قطاعات العمل؛ وبذلك يمكن تصحيح الاختلالات والتوترات المترتبة على عدم الاستقرار في منظومات العمل بطابعها القديم أو الحديث، جزئياً، في الوقت الذي صار من الواضح فيه أن الاقتصاد العالمي تهيمن عليه اقتصادات اللوجيستيك بما تحمله من ترسانة تكنولوجية يدعمها الذكاء الاصطناعي، الذي يُهدد تدريجياً حياة واستقرار الملايين من العمال حول العالم.

## الكتاب: مستقبل العمل

المؤلف: خوان سيباستيان كاربونيل

الناشر: منشورات أمستردام. باريس - 2022

عدد الصفحات: 192 صفحة

\* كاتب ومترجم مغربي



تحريره. بالنسبة لخوان سيباستيان كاربونيل، «المنظور الوحيد القابل للتطبيق في مواجهة التحولات المعاصرة للرأسمالية هو السعي وراء هدفين لا ينفصلان عن بعضهما وهما: تحرير الحياة من العمل وتحرير العمل من هيمنة رأس المال» (ص: ١٤٧). الاقتراح الأول، المتمحور حول مشروع الدخل الشامل، من شأنه أن ينكر الأبعاد البناءة والجماعية للعمل، وينتج شكلاً جديداً من الهيمنة بين «علاقة الفرد بالدولة». (ص: ١٥٣)، دون الحد من التفاوتات (خاصة في رأس المال). أما الاقتراح الثاني، فيشير إلى أن مبادرات إعادة تنظيم الشركات المختلفة تفشل دائماً في وضع مكاسب الكفاءة الاقتصادية كهدف رئيسي. وأخيراً، إن اقتراح إلغاء العمل في شكله الحالي، لا سيما من خلال الأتمتة، ينطوي على مخاطر إبراز تقنين الأفراد وتفتيتهم ونسيان الطبيعة الهيكلية للعمل، بالنسبة للغالبية العظمى منهم.

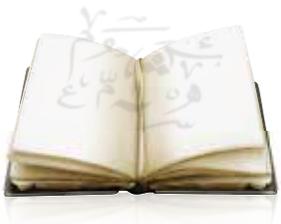
ووفقاً لأطروحة كاربونيل، يجب أن يشهد العمل انخفاض حيزه الزمني -دون تعويض من خلال تكثيف العمل أو المرونة في أدائه- وممارسة الرقابة من قبل الموظفين، للسماح باتخاذ القرار الجماعي بشأن النقاط الأساسية؛ ومنها: (استخدام رأس المال، وتيرة وجودة الإنتاج، والسلامة...إلخ). وهكذا يكتسب العمل بعداً سياسياً: «يمكن أن يصبح النضال من أجل وقت فراغ مضاعف (التحرر من العمل ورأس المال) فرصة سعيدة للحركة الاجتماعية، بعيداً عن حسابات الميزانية التي ينطوي عليها الدخل العالمي بالضرورة، أو الخوف من الاستقالة الفردية الممثلة برفض العمل» (ص: ١٧٤)، وما لذلك من انعكاسات اجتماعية مدمرة.

يعتمد جزء كبير من إنتاج الإنترنت على العمالة المجانية للمستخدمين -مثل الامتداد الرقمي لتشغيل العملاء. ويقدم المؤلف ثلاثة حدود؛ أولاً: عدم تجانس العناصر الموصوفة بـ«العمل» (على سبيل المثال، بين الإنتاج الأصلي على منصة مشاركة مقاطع الفيديو والآثار الرقمية المرتبطة بالإبحار في محرك البحث)؛ ثم: غياب «البنية الاقتصادية والتقنية القادرة على التقاط البيانات الرقمية التي ينتجها المستخدمون ومنحها الهدف والقيمة» (ص: ١٠٦-١٠٧)؛ وأخيراً: انخفاض حصتها من نتائج الاقتصاد الرقمي.

هذه الحجج يمكن أن تدفع المؤلف أيضاً إلى التمييز بين العمالة الرقمية والعمل الرقمي. وبذلك فإن اعتراف كاربونيل بأن الرقمية تنتج التحكم في العمل، وأن إخفاء العمل هو هدف حاسم في تحليل العلاقات الاجتماعية، يدحض حالة النموذج الاقتصادي العالي الأداء ويقصد الشركات المميزة المنظمة للمنصات مثل أوبر وتيسلا وغيرها التي لن تقاوم الأزمات الاقتصادية أفضل من غيرها، وستظل تعتمد على العمل واستثمار العمالة.

بينما الفصل الرابع يعتمد على نتائج أطروحة العمل الأخيرة لوصف «الرأسمالية اللوجيستية»، والمرتبطة بتداول سلاسل التوريد؛ بحيث تقدم الرأسمالية اللوجيستية على أنها «أحد المصادر الرئيسية لخلق وظائف جديدة للعمال في العالم» (ص ١١٦). لم تعد اللوجيستيات مكوناً من مكونات الخدمات العامة بل قطاعاً في حد ذاته أصبح موقعه الاستراتيجي أساسياً الآن. ومع ذلك، فإن «الثورة اللوجيستية» التي وصفت في الثمانينيات لا تضي دائماً بوعودها بتوفير السيولة والسرعة، إذ تعاني سلاسل التوريد من نقاط ضعف كثيرة، تبرز بشكل واضح في أوقات الأزمات. زد على ذلك أن التقنيات الجديدة المرتبطة بإدارة المستودعات تؤدي إلى «تكثيف للعمل وتدنٍ لمهارة القوى العاملة» (ص ١٣١) يمكن ملاحظة ذلك في إدارة المساحات والمهام. يصف المؤلف تنظيم العمل على المنصات اللوجيستية، التي أصبحت معدلات الحوادث فيها أعلى الآن من تلك الموجودة في قطاع البناء استناداً إلى تقارير النقابي والمؤرخ جو ألين، وهو موظف سابق في شركة خدمة الطرود المتحدة، الذي يقدم برهاناً سياسياً على أن احتمالات تخريب الاقتصاد الجديد تتزايد، ويمكن ملاحظة علامات ذلك في حركات الاضرابات الأخيرة في أنحاء كثيرة من العالم الصناعي.

وينتقد الفصل الأخير من الكتاب المقترحات الرئيسية لحل «أزمة» العمل ومنها: نزع صلاحيته أو دمقرطته أو



## نفايات المناجم والمياه والهندسة الإيكولوجية واستخراج المعادن.. «الاستدامة والاقتصاد الدائري»

مارجريت كالين سيدنفادن - ويليام ن. ويلر

حامد عبد الرحيم عيد \*

يعيش العالم حالياً على نموذج ما يسمى بـ«الاقتصاد الدائري» مع حالة من الشفافية وزيادة الثقة عبر سلاسل الإمداد العالمية، والتي تحفز على التحكم بشكل أكبر في الموارد، كما أنّ هناك بعض الاقتصادات التي تتمتع بوجود سلاسل إمداد دائرية يتم عن طريقها اقتسام الأرباح بشكل عادل بين المجتمعات والمستهلكين وغيرهم.

يمكن إدخال طرق التعدين في القرن الحادي والعشرين. وهنا يصف الكتاب عمليات التجوية الطبيعية (وتعنى تفتت وتحلل الصخور والتربة والمعادن على سطح الأرض أو قربه بواسطة العوامل الجوية السائدة دون نقل الفتات من مكانه) وعلم الأحياء الدقيقة للبيئات القاسية، والمعروفة أيضاً باسم مواقع المناجم. ويتم التشديد على دور الميكروبات في التجوية ومعالجتها، إلى جانب دراسات حالة عن تعزيز مختلف العمليات الإيكولوجية التي تحد من التجوية وتحول الملوثات، مما يخلق أجساماً خامة في المستقبل. تمت كتابة هذا الكتاب كامتداد للمساهمة في موسوعة أكسفورد للأبحاث. ليضيف عمقاً والعديد من الأمثلة عبر ٤٠ عاماً من العمل متعدد التخصصات مع خبراء من الجيولوجيا والجيولوجيا المائية وعلم الأحياء الجيوميكروبي وفسولوجيا الطحالب والكيمياء، وهي عناصر مهمة جداً بالنسبة للموسوعة.

ويحتوي الكتاب على عشرة فصول، ويعرض لطرق متنوعة من أجل تحقيق الاستقرار في نفايات المناجم ومجالات إدارة المياه، ويقدم أساساً علمية لاستخدام العمليات البيئية من أجل موازنة عمليات التجوية في هذه النظم البيئية المتطرفة مع رؤية واقعية لمواقع النفايات من الصخور المكسورة أو الأرضية. كما يهدف الكتاب إلى أن يكون بداية نهج قد يؤدي إلى «اللحظة المقدسة أو اللحظة» التي طال انتظارها من قبل الصناعة والاستشارات والأوساط الأكاديمية. فاهمية صناعة التعدين معروفة جيداً، إن لم يتم تقديرها دائماً، حيث تحيط حياتنا بمنتجاتها، أي المعادن والمعادن الصناعية. ومنذ عام ١٥٥٦، أبرز خبير المعادن جورج جوس أجريكولا الآثار الجانبية البيئية المدمرة للتعدين واستخراج المعادن، وهي الأسماك الميتة والمياه المسمومة. هذه الآثار، والتي ما زالت معنا حتى اليوم. منذ ذلك الحين، نمت معرفتنا بالأسباب المؤدية إلى التدهور البيئي بشكل كبير، وتم تحسين العديد من عمليات التعدين والصهر. ففي زمن أجريكولا، كانت عمليات التعدين محلية بشكل عام وهي محاطة بالغابات التي قطعت لدعم الأنفاق الجوفية للمنجم واستخدامات كوقود لتحميم الخامات. ومع ذلك، فإن التغييرات في أساليب التعدين منذ أوائل القرن العشرين

والطاقة والاستفادة منها قدر الإمكان، بخفض الاستهلاك والنفايات والانبعاثات، عن طريق تبسيط العمليات وسلاسل الإمداد والحفاظ على قيمة المنتجات وإدارة المخزون ورأس المال الطبيعي والبشري والمصنّع والمالي. ويبرز تحت اسم «اقتصاد الخدمات» حيث يوجد توجه عالمي للتحويل من الملكية الفردية إلى فكرة «رخصة الاستخدام وتقاسم الخدمات»، ويشجع على استخدام التكنولوجيا لدعم خلق منتجات وأنظمة يتم فيها إعادة استخدام المواد وإعادة تدويرها أو إعادة تصنيعها والتوجه نحو التشارك بدلاً من الامتلاك. ويهدف الاقتصاد الدائري إلى تحقيق العديد من الفوائد؛ منها: جذب مصادر جديدة للدخل، وتعزيز العلاقات مع أصحاب المصالح، والتقليل من آثار الأزمات حال حدوثها، وتعزيز أدوار الاستدامة للشركة وتعزيز علامتها التجارية، وتعزيز الكفاءة البيئية، وتقليل حجم النفايات والانبعاثات، وإعادة استخدام الموارد في الإنتاج أكثر من مرة، والحد من استخدام مصادر الطاقة غير المتجددة، وتقليل تكاليف المواد الخام واستخدامات الطاقة، وتقليل تكاليف الحفاظ على البيئة، وزيادة الشعور بالمسؤولية، وتحسين صورة الأسواق والمؤسسات، وخلق فرص وظيفية جديدة من خلال تعظيم استخدامات الموارد، وتعزيز التعاون والمشاركة في كافة مجالات الاقتصاد، وتقليل تكاليف إدارة المخلفات والتحكم في الانبعاثات الضارة، وخلق أسواق وصناعات جديدة، وأخيراً الاعتماد على أنظمة إنتاجية صديقة للبيئة. وعلى وجه العموم، فإن كتاب «نفايات المناجم والمياه والهندسة الإيكولوجية واستخراج المعادن: الاستدامة والاقتصاد الدائري» يستعرض عمليات إدارة نفايات المناجم في الماضي والحاضر. ويقدر الاستهلاك العالمي للمياه حسب موارد التعدين الرئيسية سنوياً؛ مما يؤدي إلى اصطدام موارد استخدام الأراضي (الزراعة والمياه) بالمصالح التعدينية المتوقعة في المستقبل القريب. ومع تطبيق عمليات جديدة لاستخراج المعادن واعتماد الهندسة الإيكولوجية كنهج لإدارة النفايات والمياه، يمكن تحقيق تخفيض في استهلاك المياه والأراضي. ومن شأن استخدام هذه النهجيات أن يجعل التعدين أكثر استدامة، جنباً إلى جنب مع إعادة تدوير الخام والمعادن،

هناك أيضاً الثورة الصناعية الرابعة التي تشكلت ملامحها في وسائل تكنولوجيا مثل «بلوك شين» والذكاء الاصطناعي وإنترنت الأشياء والنانوتكنولوجي، وأسهمت جميعها في انتعاش عدد من القطاعات مثل تتبع المعادن من المناجم إلى المستهلكين وتحليل البيانات لاستخدامها في إعادة التصنيع والتدوير.

ويتوقع محللون أن الاقتصاد الدائري سيكون حالة اقتصادية عادية عام ٢٠٣٠ تهدف لتقليل الهدر وخفض استهلاك الطاقة والمواد الخام. وعند المقارنة بما كانت عليه الحال عام ٢٠١٠، كان يتم استخراج مليارات الأطنان من المواد والمعادن سنوياً لتلبية الاحتياجات، لكن ربما يسهم الاقتصاد الدائري في ثورة من التدوير وإعادة الاستخدام. ويسهم أيضاً في تعظيم الاستفادة من جميع المواد الخام والمعادن والطاقة والموارد بمختلف صورها، فضلاً عن إطلاق عمليات إعادة التدوير والاستخدام وإعادة التصنيع والتطوير، بدلاً من نمط الهدر وإلقاء النفايات. كما أنه يعيد تطوير الأنظمة الصحية والاستهلاكية والتعريف بقيمة الأشياء وأهمية الاستخدام الفعال وتقليل الآثار السلبية الناجمة عن الأنماط الاقتصادية التقليدية، كما أنه يسهم في خلق فرص اقتصادية واستثمارية أفضل للشركات والمؤسسات، فضلاً عن المزايا البيئية والاجتماعية.

فالاقتصاد الدائري لم يعد مصطلحاً وليد السنوات الأخيرة، بل إنه يضرب بجذوره في العالم منذ عقود عند ابتكار مفهوم التدوير وإعادة الاستخدام، وظهر بشكل واضح في الدول الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية عندما حاولت الحكومات استغلال التكنولوجيا والآلة في إعادة التصنيع.

والاقتصاد الدائري -بحسب البنك الدولي- هو إعادة لتعريف النمو، مع التركيز على الفوائد الإيجابية على مستوى المجتمع، من خلال تقليل النفايات وإعادة تدويرها في سلع أخرى جديدة. فهو يقدم مفهوماً جديداً للفرص من خلال إعادة التفكير وإعادة تصميم الطريقة التي تنتج بها المصانع السلع النهائية الخاصة بها، بتصميم منتجات يمكن «تصنيعها مرة أخرى». والاقتصاد الدائري، هو نموذج اقتصادي نادت به سويسرا عام ١٩٧٦، يستهدف تقليل الهدر من المواد والسلع



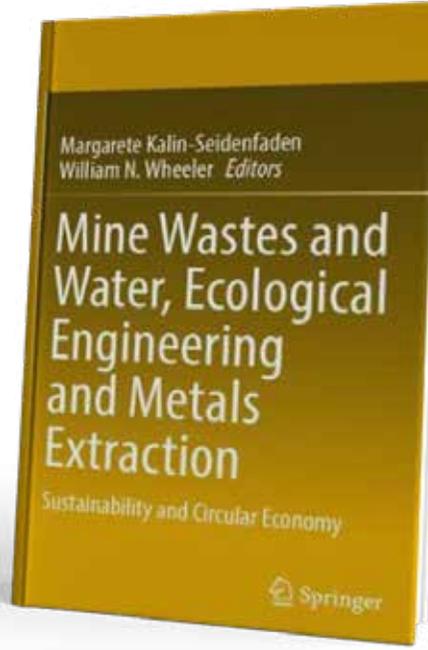
مختلفة كررت الاختبارات بسلع مختلفة وتصميمات تجريبية. وتوحي الشكوك الأولية بأن الأغشية الحيوية لن تدوم!! حيث تم تخزين الصخور من التجربة الأولى لمدة 11 عاماً، ولكن في بعض الأحيان تنتهي كل تجربة. تم وضع الصخور في الهواء الطلق دون إضافة (CPMW) لمدة عامين إضافيين، مع التحسين المستمر لمياه الصرف. ومن ثم، استمر التعرض في الهواء الطلق، وفي النهاية، تم فحص الأسطح من خلال الفحص المجهر SEM في جامعة تورنتو. ومرة 11 سنة، ولا تزال بعض الأغشية الحيوية قائمة. في الآونة الأخيرة، وجد بوجود في تحديث الأدبيات الخاصة بـ MIC (تثبيط الميكروبات للتآكل)، وهو منشور حول مسمار خال من الصدأ مغطى بغشاء حيوي عمره عدة آلاف من السنين. ويسلط الفصل التاسع الضوء على مشاريع البحث والتطوير التي استخدمت الأدوات المذكورة أعلاه لاحتواء أو إبطاء إنتاج AMD في إدارة نفايات المناجم. وأخيراً يقدم الفصل العاشر بعض الاقتراحات العملية لتقريب الصناعة من الاستدامة وبعض أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة.

... إن هذا الكتاب يستهدف أولاً: جمهوراً واسعاً، من المديرين التنفيذيين والمتخصصين في مجال التعدين، والمنظمين الحكوميين، وعلماء البيئة، وأي شخص لديه اهتمام بكوننا وأظلمته البيئية. ومع ذلك، فإن المديرين التنفيذيين للتعددين والحكومة هم الذين يجب أن يتبنوه؛ لأن الإشراف على كوننا أمر ضروري ولا بد أن تتغير الممارسات الحالية؛ ولأن المجتمع يدرك بشكل عام أن هناك أزمة مع تغير المناخ والاحتباس الحراري؛ فيعتقد أن التخفيف من نفايات التعدين مدفوع بما يسمى بـ«الثورة الكهربائية». هذه الثورة تحتاج إلى معادن ومعادن بكميات كبيرة لتسهيل حلم الطاقة المتجددة. تتزايد مواقع نفايات هذه المعادن، وتستهلك المزيد من الأراضي وتلوث المزيد من المياه. ثانياً: يهدف الكتاب إلى تقديم اقتراحات لطرق الانطلاق بمسؤولية في التعدين، حيث يصف التوازن بين التعدين والبيئة، وكيف يمكن للأخير، ولا سيما دور الميكروبات أن تساعد في تخفيف وعكس واحتواء الكثير من الضرر الذي يحدثه التعدين. فهو موضوع لم يتم فهمه جيداً بشكل عام، وهناك إجماع من احتضانه، لكنه موضوع يعتقد مؤلفو الكتاب أنه مهم وضروري للحفاظ على قابلية بقاء الكوكب؛ فالصرف الملوث من نفايات التعدين، كما يُعتقد، لا يجب أن يكون «الثلث» الواجب دفعه مقابل الحصول على المعادن.

**الكتاب: نفايات المناجم والمياه والهندسة الإيكولوجية واستخراج المعادن.. الاستدامة والاقتصاد الدائري**

**الكاتب: مارجريت كالين سيدنفادن - ويليام ن. ويلر**  
الناشر: Springer - 2022

\* أستاذ بكلية العلوم - جامعة القاهرة



الصخور، فيتم تثبيت هذه الأدوات، وهي (ARUM) الحد من الأحماض باستخدام علم الأحياء الدقيقة، والتلميع البيولوجي وزيادة الأغشية الحيوية لتقليل الأوكسدة المتدفقة داخل منطقة ملخص إدارة نفايات المناجم، نظراً لأن الخنادق والبرك الضحلة خالية من الرواسب التي يجب بناؤها. ويتم إعطاء التعليمات لتوفير الظروف للرواسب الميكروبية النشطة. ولإزالة الملوثات من المسطحات المائية الكبيرة أو البحيرات أو الحفر المغمورة (وتسمى أيضاً بحيرات الحفر)، من الضروري إنتاج مواد عضوية مكونة للجسيمات، وهي العوالق النباتية، من خلال تعديل نسبة العناصر الغذائية في الماء؛ حيث توفر هذه الطحالب الحرة العائمة، في عمود الماء، أسطح جدار خلوي تلتصق بها المعادن/تمتصها، وتشكل جزيئات كبيرة وثقيلة بدرجة كافية لتستقر في الرواسب السفلية؛ سواء تم بناؤها أو وجودها مرة أخرى.

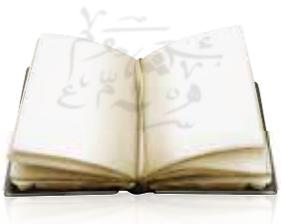
وبالنسبة لنمو الطحالب الحية، فيجب توفير أسطح مدعومة بعوامات أو إضافة فرشاة على عمق؛ حيث يمكن للضوء أن يخترق، عند حواف الحفر أو البرك، مما يؤدي إلى نمو غطاء حيوي. وتشترك هذه التدابير في أن الافتقار إلى الإمداد المستمر للمواد العضوية يوقف نهج المعالجة المستدامة داخل الجسم المائي. ويُشار إلى هذه الأداة باسم «التلميع البيولوجي»، ليحل محل استخدام عوامل التلبد في تكوين الجسيمات (الفصل السابع).

وأخيراً، أداة مهمة للغاية هي تلك المقدمة في الفصل الثامن، إلى مختلف نفايات التعدين المولدة للأحماض، حيث تمت إضافة نفايات تعدين الفوسفات الكربوني (CPMW)، وتم نقل منتجات التجوية / جسيمات (CPMW) مع المطر إلى السطح المعدني، وكان للنفايات السائلة درجة حموضة محايدة. وقد تم إحداث هذه العملية من خلال تكوين غشاء حيوي فوق سطح المعدن وتم توثيقها عدة مرات، من قبل مجموعات علمية

لفتح مناجم الحفر، مع أو بدون أنفاق، أصبحت أكثر طرق التعدين شيوعاً. أدى ذلك إلى نفايات التعدين الثانية وهي أكوام الصخور الضخمة مع تركيزات غير اقتصادية من المعادن من الطبقة السطحية، بالإضافة إلى الصخور الأرضية من المطاحن، وهي المخلفات. وإلى جانب النمو السكاني والتقدم التكنولوجي، زاد الطلب على المعادن، وزادت النفايات بسبب التحييد الكيميائي لمياه الصرف الصحي، مما أدى إلى توليد الحمأة المحملة بالمعادن.

ومع ذلك، فإن هذه المادة الأخيرة هي في الواقع مجرد غذاء بديل مثالي للميكروبات. لا توجد مظلة كبيرة بما يكفي أو أفضل غطاء قوي يكفي لتستمر آلاف السنين لتضمين النفايات. فلووقف التجوية، يجب تقييد التفاعل المؤكسد المعجل بواسطة النشاط الميكروبي أو حتى منعه. والنهج المنطقي لمعالجة هذا هو تقليل معدل التجوية وتعزيز هطول الأمطار داخل رواسب النفايات من خلال تقديم الماء المؤكسد مع مادة متفاعلة تغير سطح المعدن بحيث تهيم الميكروبات المستهلكة للأوكسجين. تم توجيهه بوجود من قبل متخصصين في صناعة التعدين منذ إنشائها في عام 1982 في تورنتو، أونتاريو، بكندا، واستمرت حتى فكرة تلخيص ما يقرب من 40 عاماً من أساليب الهندسة البيئية في كتاب. يتوفر ملخص جزئي في موسوعة أكسفورد للأبحاث تحت عنوان التعدين والهندسة البيئية واستخراج المعادن للقرن الحادي والعشرين.

ويصف الفصل الأول من هذا الكتاب إنتاج نفايات التعدين، والتجوية، وتعقيدات التنبؤ بخصائص نفاياتها السائلة منذ بداية التشغيل. ويقدم الفصل الثاني تقديرات تقريبية للخدمات السنوية العالمية وتوليد النفايات للسلع الرئيسية، ومياهها، واستخدام الأراضي مما يعكس الحاجة الملحة لاتخاذ إجراءات لتغيير النهج الحالية للتعددين وتوليد النفايات. ثم يقدم الفصل الثالث حلاً لكليهما، مع إعطاء الخطوط العريضة للتغييرات اللازمة في عمليات استخراج المعادن بالماء لاستعادة سلع أكثر من المعدن المستهدف، وكذلك توفير الأرض والمياه. وفي الفصل الرابع سرد تاريخي موجز لإدارة نفايات المناجم التي تمولها برامج حكومية وصناعية مختلفة، مع مراجعة بوجود لعقودها المبكرة. كان الرد السائد هو أن الهندسة البيئية وعلم الأحياء لا يعملان في الشتاء، وبالتالي ليس في أقصى شمال كندا. أتاح هذا الفهم الخاطئ فرصة فريدة لتوثيق عمليات التعال في الطبيعي للعمليات المهجورة منذ فترة طويلة في الأقاليم الشمالية الغربية. وفي الفصل الخامس، تم تسليط الضوء على الاختلافات في تحليل الملوثات العضوية وغير العضوية، حيث يعد استخدام الأراضي الرطبة الطبيعية أو المبنية مع الرواسب التي تنمو فيها النباتات بمثابة عوامل تطهير للمواد العضوية ناجحة للغاية. ومع ذلك، عند اختبارها لتعددين مياه الصرف الصحي التي تحتوي على ملوثات غير عضوية، فقد تولدت عن المعالجة مشاكل هيدرولوجية. تم وصف عمليات الإزالة المختلفة. وهنا تصف الفصول السادس والسابع الثامن كيفية استخدام أدوات الهندسة البيئية من أجل تحييد المنجم الحمضي وتصريف



## الأمن البشري في الإكوادور وكوستاريكا.. جدل وانتشار أليكسياس كولمينارييس ثاباطا

كلثوم بوطالب \*

أصبح عالمنا اليوم عالماً غير آمن ومحفوفاً بالمخاطر، وهي مخاطر محدقة بنا من العديد من الجهات: الأزمات طويلة الأمد والكوارث الطبيعية والأوبئة وفترات الركود الاقتصادي. كلُّ هذه المشكلات وغيرها من الأزمات تتسبب في زعزعة الاستقرار والسلام.

وسرعة تقارب السياسات بين الدول. وفي هذا السياق، وعلى هذا النحو، يتم نقل الأفكار عبر مختلف القنوات وبمشاركة مختلف المواضيع.

ومن بين التأمّلات التي يقدمها المؤلف في كتابه الإشارة إلى أنه في نهاية القرن العشرين إلى جانب العولمة، بدأ الجدل عميقاً في مجال العلاقات الدولية حول منهج الأمن البشري ومواجهة الرؤية الكلاسيكية التي تركز على حماية الدولة، وظهر منهج جديد يعتبر الإنسان محور العمل والتفكير. وتنشط كلُّ من كوستاريكا والإكوادور في الشبكات الدولية المعنية بأمن الإنسان، وأدرجت هذا المفهوم في إطارها القانوني. هذه الوضعية نتج عنها جلب الكثير من المشاريع خاصة بهذا الشأن إلى الإقليم. ولم تكن كولومبيا استثناء أيضاً، بما في ذلك هذا النهج الذي اتبع في أعقاب تقرير التنمية البشرية لعام 1994 الذي أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

ويستعرض الكاتب في الفصل الأول النظريات والمفاهيم المتعلقة بتحليل نشر سياسات الأمن البشري في كوستاريكا والإكوادور، انطلاقاً من زاوية نظرية تعددية حيث تجتمع عناصر العقلانية (الحوافز والجزاء والتكاليف والفوائد)، وعناصر البنائية (الضغط المعياري وتغيير المعتقدات والاعتبارات الرمزية). وخصص الكاتب هذا الفصل لافتحاص السمات الرئيسية والافتراضات والنقاشات حول مصطلح «الأمن البشري».

ويؤكد الكاتب أن مفهوم «الأمن البشري» مفهوم متكامل ومتعدد الأبعاد يركز على الأشخاص بوصفهم مرجعاً أساسياً للأمن؛ ووفقاً لذلك يعيش الإنسان حراً متحرراً من العوز والخوف. ويضيف الكاتب أن أهمية الأمن البشري في نظام الدراسات الدولية يكمن في مساهماته من خلال الآراء الليبرالية والمناهج النقدية. يهدف الأمن البشري للحماية من التهديدات المحتملة والمتمثلة في سبعة مجالات: الاقتصادية والغذائية والصحية والبيئية والشخصية والاجتماعية والسياسية. وهذه الخصائص تجعل الأمن البشري يتطور بوصفه مفهوماً شمولياً ومتمركزاً حول الإنسان على عكس بعض المفاهيم الأخرى. تشمل مفاهيم الأمن البشري التصدي لمجموعة من التهديدات مثل الفقر وسوء التغذية

سياسات عامة تتصل بالأمن. ومع ذلك، لم يتم إجراء تحقيق حتى الآن لمعرفة الدوافع الحقيقية التي أدت إلى ترسيخ هذا المصطلح.

وهكذا، وفي سياق العولمة، يتيح تبادل الأفكار والمعارف والخبرات وما إلى ذلك بين مختلف الجهات الفاعلة والمؤسسات العامة والخاصة زيادة الصلة والتقارب بين مختلف أساليب الحكم وأليات تصميم وتنفيذ السياسات العامة. إن الهدف الرئيسي من هذا العمل هو الغوص في الكليات النظرية المرتبطة بطرق النقل والانتشار، حيث ينظر الإطار النظري لهذه المسألة إلى انتشار المفاهيم على أنه العملية التي تنقل من خلالها الأفكار والتصورات والمصطلحات القانونية ونماذج السياسات العامة والأطر المؤسسية بين الجهات الفاعلة في وقت معين ومسافة محددة.

ويضيف الكاتب في نفس السياق أن مفاهيم نجحت في بلدان أخرى - مثل: القوى السياسية بصفة خاصة، وإصلاح الجهاز البيروقراطي، والإدارة العامة الجديدة، وتصميم نظم المعاشات التقاعدية والصحة العامة - دون تجاهل أمثلة أخرى مثل: زيادة المساواة ومشاركة المرأة في الحياة العامة، على سبيل المثال لا الحصر. ويؤكد أنه مع ذلك، فإن مفهوم الأمن البشري لم يحظ بتغطية كافية في البث الإذاعي خاصة على قنوات البث الدولية وتفاعلها، وهنا تبرز أهمية المفاهيم المنقولة والدور الذي تؤديه المجموعات المؤلدة للمعرفة، أو ببساطة المجتمعات المحلية التي تعاني من نقص في الآراء. وينتهي الكاتب إلى أن الفرضية هنا هي أن هذه المجتمعات التي تولد المعرفة قد لعبت دوراً رائداً في تصور مفهوم الأمن البشري، ولكن لم يتم شرح كيفية انتشاره بشكل كامل. وهذا هو الإسهام الذي يقدمه الكاتب في هذا العمل؛ وهو إظهار الدور الرئيسي لكيفية انعكاس استخدام البيانات والمعارف في المجتمعات المحلية في الأفكار التي تنشر بدورها من خلال وسائل إعلامية مختلفة من أجل التحرك نحو تغيير في مفهوم جوهره الإنسان؛ أي: «الأمن البشري».

ويؤكد الكاتب على أن العولمة أدت لمزيد من الترابط بين الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية وأسهمت في واقع جديد لصنع السياسات، وقد أدى ذلك إلى زيادة مستوى

وفي هذا السياق، نشر الكاتب أليكسياس كولمينارييس زاباتا أستاذ باحث في معهد الدراسات الوطنية العليا (IAEN) - وهي أول جامعة للدراسات العليا في الإكوادور - كتابه الذي يقدم فيه مفهوم الأمن البشري كمنهج واعد يحتذى به في الإكوادور وكوستاريكا. وكوستاريكا هي عضو نشط في الأمم المتحدة ومنظمة الدول الأمريكية وعضو في العديد من المنظمات الدولية الأخرى المتعلقة بحقوق الإنسان والديمقراطية. أما الإكوادور، فقد ركزت على النهج المتعدد الأطراف في القضايا الدولية، وهي عضو في الأمم المتحدة وعضو في العديد من المجموعات الإقليمية، بما في ذلك مجموعة ريو، والنظام الاقتصادي لأمريكا اللاتينية، ومنظمة الطاقة في أمريكا اللاتينية ومنظمات حقوقية عديدة.

ويقدم الكاتب مصطلح «الأمن البشري» بوصفه مصطلحاً مثيراً للجدل، حيث يتضمن استبدال الرؤية الكلاسيكية لأمن الدولة بنهج يتركز حول الإنسان. فمنذ أن تم اقتراحه منذ أكثر من عشرين عاماً، أثار نقاشاً مستمراً حول نطاقه ومحتواه. وعلى الرغم من ذلك، طبقت عدة بلدان في أمريكا اللاتينية هذا المفهوم في العديد من المبادرات المحلية وحتى الإقليمية. وربما يكون من المفيد ملاحظة أن التقارب في الأفكار حول الأمن البشري هو نتاج موجة من الانتشار الإقليمي؛ حيث وصل الأمن البشري إلى هذين البلدين وإلى الجهات الفاعلة ذات الصلة بفعل انتشاره. وناقش مجموعة من المفكرين مختلف التغييرات في النظام الدولي في القرن العشرين، وهي تحولات أدت إلى تغيير وجودي ومعرفي في أفكار الأمن وفي رؤية العالم؛ ومن بين هذه الأفكار كان اقتراح استبدال الرؤية الكلاسيكية لأمن الدولة بالنهج الشامل للأمن البشري الذي يحل محل الدولة بوصفه مرجعاً للأمن.

ويؤكد الكاتب على أن مفهوم الأمن البشري ليس جديداً في المنطقة، ولكن استخدامه ليس بعيداً في الزمن كما قد يتصور المرء. وقبل عقدين تقريباً، بدأ استخدام هذا المصطلح في أمريكا اللاتينية، ليحل محل المفهوم الذي توفره الدولة للأمن. ولم يكن من قبيل الصدفة نشر المفهوم على نطاق واسع بين مختلف بلدان المنطقة التي اعتمدته من أجل وضع



التحول أهمية كبيرة بالنسبة لأمريكا اللاتينية، حيث تتعرض الحياة باستمرار للتهديد من قبل مختلف أنواع العنف. كما يُجيب هذا الكتاب المهم عن كثير من الأسئلة المرتبطة بمفهوم الأمن البشري الذي أضى منهجاً مطروحاً بقوة، ومنه فإن المسألة البحثية الواردة في هذا الكتاب تدور حول كيفية انتشار مفهوم الأمن البشري في كوستاريكا والإكوادور بين عامي ٢٠٠١ و٢٠١٦. وتنشأ، بدورها، بعض المتغيرات مثل الآليات التي تؤدي دوراً رائداً في نشر المفهوم، أي من خلال طرح السؤال المتعلق بكيفية نشر بعض المفاهيم أو الإجراءات وسبب نشرها أو من فاعل إلى آخر، وهي إشكالية ظلت موضوعاً للعلوم الاجتماعية. ومنه فإن نقطة انطلاق هذا العمل هي المشكلات النظرية المتعلقة بعمليات النشر أو التبليغ، وبشكل عام؛ يمكن فهم النشر على أنه العملية التي تنتشر من خلالها الأفكار أو المعايير أو السياسات أو المؤسسات.

وتعتبر قضية الأمن البشري في البلدان العربية قضية مهمة والتي تعتبر أساساً قضية إنسانية واجتماعية وسياسية، لا يمكن الفصل بينها وبين مختلف قضايا الحريات العامة والفرديّة وحقوق الإنسان والديمقراطية. ويبدو لي أنه من المهم جداً توسيع مفهوم الأمن البشري - في بلداننا العربية وفي العالم أجمع - ليخرج من دائرته والتي تعد ضيقة والتي لا تتعدى حماية الإنسان من العوز والخوف، ليطل مجال الحروب والمواجهات العسكرية؛ وبالتالي خلق رؤية فكرية جديدة للحد من أي عدوان يهدد سلامة واستقرار البشرية. كما أنه قد يكون مفيداً للمكتبات العربية إذا اهتمت بمثل هذه الدراسات الأساسية والتأسيسية في مجالها وترجمتها عن اللغات الأجنبية لتغني روفها وتكون مرجعاً أساسياً للباحثين في قضايا الأمن البشري وأدب الأزمات، خاصة في مثل هذه الظروف التي يعرفها العالم من أزمات صحية وكوارث طبيعية وحروب. ومن بينها هذا الكتاب الذي يستحق أن يطلع عليه القراء، ليتعرفوا على وجهات نظر باحثين ينتمون على مناطق بعيدة عن المركزية الأوروبية وعانت ما عانتها بلداننا من وسما بدول الهامش، أو الدول المستعمرة، كما أن الكتاب يكتب بلغة سيرفانتيس، وهي لغة قدمت للمكتبات الكثير من الدراسات المهمة في شتى المجالات. وربما يكون الاطلاع على مثل هذه الدراسات وسيلة لاستنبات مفهوم الأمن البشري وتداوله في المجال الثقافي العربي.

**الكتاب: الأمن البشري في الإكوادور وكوستاريكا..  
جدل وانتشار**

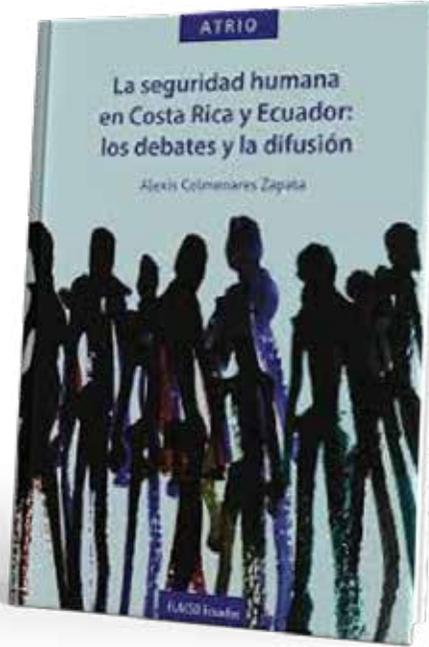
**الكاتب: أليكسياس كولمينارييس ثاباطا**

**الناشر وسنة النشر: يناير 2021 - Editorial  
FLAKSO Ecuador**

**عدد الصفحات: 176 صفحة**

**لغة الكتاب: الإسبانية**

\* باحثة في جامعة محمد الخامس-الرباط



الإنسان وبدرجة أقل من مجال التنمية البشرية. وينتهي الكاتب إلى أن آليات النشر في كوستاريكا والإكوادور مرتبطة بالمنظمات الدولية والجهات الأكاديمية والحكومية ووجود أو عدم وجود القوات المسلحة. وهذا يعني ضمناً أن الجهات المعرفية تلعب دوراً مهماً في تقبل أو رفض نشر أفكار وسياسات الأمن البشري.

كما يعرض الكاتب الآليات ومجموعة من الأفكار التي تم تفعيلها في كلا البلدين، ويوضح كيف تم تحويل تبني منهج الأمن البشري من قبل الجهات الفاعلة الاجتماعية كمؤسسات التعاون الدولي والأوساط الأكاديمية أو القوات المسلحة كما هي الحال في الإكوادور. عمد الكاتب في هذا العمل إلى استخدام جميع عناصر الخرائط المفاهيمية لتحليل الأفكار والمفاهيم المتعلقة بالأمن البشري.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تحليل الدور المعرفي للمجتمع في حقوق الإنسان في كوستاريكا والإكوادور في نهج الأمن البشري. ويشير الكاتب في دراسته إلى أن أوساط حقوق الإنسان اضطلعت بدور غامض في نشر نهج الأمن البشري في كوستاريكا الذي يتقوقع بين القبول والرفض، فآليات الإكراه والمنافسة والتنشئة الاجتماعية يمكن أن تؤثر على الجهات الفاعلة بخلاف الدولة أو الحكومة مثل المنظمات الدولية. فقد غير مفهوم «الأمن البشري» نظرة العالم والجهات الفاعلة الدولية من خلال التشكيك في المنظور السائد والقائم على أمن الدولة ومن خلال التركيز على حماية الأفراد (الحماية ضد العنف وتأمين الاحتياجات الأساسية).

ويعد هذا الكتاب إسهاماً جيداً في ميدان العلوم السياسية ومجال العلاقات الدولية؛ حيث يعزز النقاش المستمر حول التركيز على التفكير في السياسات العامة لهذا المجال، وذلك بالتأكيد على مفهوم جديد في التطور المستمر والمؤثر أثناء تصميم السياسات العامة على الأمن في المنطقة، ويكتسي هذا

والمخاطر البيئية والبطالة والجريمة والعنف الأسري. ولأنه من الصعب تحديد مفهوم الأمن البشري، يقدم الكاتب في الفصل الثاني نظرة عامة حول هذا المفهوم كما تم تداوله في كوستاريكا والإكوادور؛ من خلال منهجية الخرائط المفاهيمية حتى يتسنى للفاعلين فهم منهج الأمن البشري في جميع أبعاده بناء على الفكرة والتصنيف والتوصيف والتمايز والتقسيم الفرعي وتمثيل المصطلح وتحديد الاختلافات الموجودة بين البلدين.

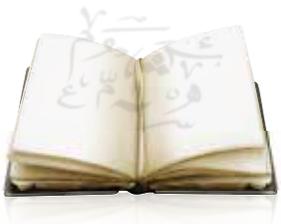
ومن بين الخلاصات التي توصل إليها الكاتب في دراسته أن كوستاريكا بلد له جدول أعمال نشط في تعزيز حقوق الإنسان والأمن البشري، وعلى العكس من ذلك في الإكوادور منهج الأمن البشري له صدى أقل، ذلك أن الأعراف والعادات والتقاليد وهوية الدولة يؤثران على كيفية تلقي مفهوم «الأمن البشري» وتداوله وتبنيته وممارسته.

ويناقش الكاتب في الفصل الثالث تطور المجتمع البشري في شأن الأمن البشري من خلال دراسة الحالتين (الإكوادور وكوستاريكا) استناداً إلى المكونات الأربعة (القناعات المعيارية، المعتقدات المشتركة، النتيجة-السبب، مفاهيم مشتركة حول الصلاحية وبدائل السياسة)، كما يناقش كذلك أفكار المجتمعات المعرفية المتعلقة بالأمن البشري كحقوق الإنسان والتنمية البشرية، فضلاً عن الأمن المقيد والموجه نحو أمن الدولة، ويؤكد الكاتب أنه من الضروري الانتباه إلى الديناميكيات الداخلية التي تعزز نهج الأمن البشري؛ بحيث لا يكفي تحليل مستوى تطور المجتمع المعرفي بقدر ما هو ضروري فهم درجة تأثيره لإدراك دوره في عملية الانتشار.

ويحاول الكاتب خلال الفصل الرابع دراسة كيفية نشر الأفكار ومعايير وسياسات الأمن البشري في كوستاريكا والإكوادور عن طريق تحديد طبيعة آليات الانتشار العقلانية والفكرية، ويقصد الكاتب بطرق النشر الطرق التي يمكن أن تؤثر بها الجهات الفاعلة في قرارات جهات أخرى بواسطة آليات الإكراه والمنافسة والمحاكاة والتعلم وصلته بالمجتمعات المعرفية، إضافة إلى وسائل الإعلام وأدوات التبليغ والصحافة والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية، وبهذا يمكن فهم انتشار مفاهيم الأمن البشري وتحديد العملية التي من خلالها بلورة فكرة ما أو سياسة ما في هذا السياق.

ويقوم الكاتب بدراسة السياق الذي نشرت فيه المفاهيم الخاصة لنهج الأمن البشري في البلدين أخذاً بعين الاعتبار دور المنظمات الدولية والقوات المسلحة والأكاديميين والحكومة. وفي المقابل، يحلل رفض ومقاومة أفكار الأمن البشري عند بعض الجهات المؤسسية الفاعلة (الوطنية والدولية) وتحفظها.

ويضيف الكاتب أن نشر أفكار الأمن البشري في كل من نطاقه الواسع أو المقيد يظل مشروطاً من قبل بعض الجهات الفاعلة التي تولدت لديها معرفة بهذا النهج أو -على العكس من ذلك- الجهات التي أثارت مقاومة ضد هذا المفهوم؛ على سبيل المثال في كوستاريكا؛ تنتمي هذه الجهات إلى مجتمع حقوق



# ظهور النبي.. قيام الإسلام في عيون النصارى واليهود

## للمؤرخ الأمريكي ستيفان شوميكر

### التجاني بولعوالي \*

أصبح «الإسلام المبكر» - أو ما يطلق عليه «جذور الإسلام» - يشكل إحدى القضايا المهمة التي اشتغلت بها الدراسات الأكاديمية الغربية المعاصرة؛ حيث تتقاطع الحقول المعرفية اللاهوتية والتاريخية واللغوية. والملاحظ أنّ هناك تيارا «استشراقيا» معاصرا يتجاوز في نوع من التحدي المصادر الإسلامية التقليدية التي في ضوئها تبلور منظورنا الفكري عبر التاريخ حول مرتكزات الإسلام، كالوحي القرآني، وخطامية الرسالة المحمدية، والشريعة، والمسائل الإيمانية والتعبدية، وغيرها. وينطبق هذا على الباحث الأمريكي ستيفان شوميكر، لاسيما في كتابه الجديد: «ظهور النبي: قيام الإسلام في عيون النصارى واليهود»، الذي يتضمن عشرين نصا كتبت من طرف غير المسلمين، اختارها الباحث من مصادر غير إسلامية تزامن ظهورها تاريخيا مع بدايات الإسلام.

وممارس الباحث ستيفان شوميكر في مؤلفه منهج التحليل التاريخي النقدي، الذي يضع فيه هذه المصادر غير الإسلامية في نفس درجة المصادر الإسلامية، كالقرآن الكريم والسنة النبوية والروايات اللاحقة لظهور الإسلام. وقد تمت كتابة النصوص المختارة ليس فقط باللغتين اليونانية واللاتينية، بل أيضا باللغات السريانية والجورجية والأرمنية والعبرية والعربية، وتشغل نطاقا جغرافيا واسعا يمتد من إنجلترا إلى مصر وإيران. ويعتقد الباحث أن كتابه ذو طابع مرجعي مثالي؛ سواء للفصول الدراسية أو للمكتبات الشخصية، لأنه يوفر للقراء الأدوات اللازمة للتعامل بشكل هادف مع مجال جديد ومزدهر من الدراسات الإسلامية. يقول في هذا الصدد: «يسعى هذا المجلد إلى ملء الفراغ اللافت في المصادر المتوفرة حاليا لدراسة بدايات الإسلام. وقد تم تجميع أهم الشهادات غير الإسلامية لأول مرة في مجلد مستقل لاستيعاب تشكّل الدين الإسلامي أثناء القرن الأول لوجوده. ولطالما كانت ممارسة معيارية في الدراسات الدينية لتوظيف مصادر معاصرة خارجة عن تقليد ديني معين من أجل دراسة تاريخه المبكر، لا سيما خلال عصره التكويني».

ويعتقد الباحث أن عمله يتمتع بأهمية استثنائية، لأن التقليد التاريخي الإسلامي بأكمله يعتمد على حسابات من قرون لاحقة، غير موثوق بها إلى حد ما، بينما الشهادات التي ينقلها ويترجمها في كتابه تزامنت مع صعود المجتمع الديني الجديد الذي أسسه النبي محمد، وهي كلها من تدوين غير المسلمين. ثم إن هذه الشهادات يؤكد بعضها البعض، وخير دليل على ذلك القدس التي تحظى بوضعية مركزية لدى أتباع محمد. وتتميز هذه النصوص العشرين التي يقتطفها الباحث بالإيجاز؛ حيث يترجم في كل فصل نصا معيناً، ثم يناقشه، ليخلص إلى جملة من النتائج. ونحاول في هذه المراجعة التوقف عند أربعة عناصر جوهرية تحضر، بشكل أو بآخر، في هذه الشهادات، وهي: سياق ظهور الإسلام، حقيقة الإسلام، صورة النبي محمد، والتأثير الكتابي.

ويُقصد هنا الكيفية التي تم بها وصف وتقريب الظروف التاريخية التي ظهر فيها الإسلام في هذه الوثائق أو المصادر غير الإسلامية؛ حيث يطلق على المسلمين البدو تارة، والمؤمنون تارة أخرى. ويُصوّر توسع الدولة الإسلامية بأنه غزو. فنص السجل الخوزستاني -الذي يؤرخ بحوالي ٦٦٠ ميلادية- يقدم في البداية ملاحظة عامة عن وصول أبناء إسماعيل وغزوه إيران. وبعد ذلك يركز المؤلف المجهول لهذا السجل على غزو المؤمنين لخوزستان بشكل خاص. وتكشف وثيقة أخرى تحمل عنوان: تعاليم يعقوب المعمد حديثا، وتعود إلى عام ٦٣٤، عن معرفة دقيقة بالسياق الفلسطيني والأحداث المتزامنة معه في شمال إفريقيا. لذلك فهذه الوثيقة تشكل مصدرا مهما لفهم التاريخ المبكر لما سوف يؤول إليه الإسلام. ويظهر في إحدى مناقشات يعقوب كيف دخل المسلمون الأراضي المقدسة تحت قيادة نبي جديد. ومن الواضح أنه محمد، رغم أن اسمه لم يرد في النص. ويحكي أحد المحاورين أنه تحدث مع أشخاص كانوا قد التقوا بالنبي محمد. وينطوي فصل الحاخام يعازر -الذي يؤرخ بما بين ٦٦٥ و٦٧٠- على إشارات تربط الإسلام بإبراهيم وإسماعيل. ويبدو أن هذه الوثيقة تم جمعها خلال المرحلة الإسلامية المبكرة في فلسطين، وعلى الأرجح في القرن الثامن أو التاسع الميلادي. وهي تتضمن العديد من التقاليد القديمة، بما في ذلك نهاية العالم. ويذهب مؤلف الكتاب ستيفان شوميكر إلى احتمال تأثر الإسلام لاحقا بعد إسماعيل بتلك التقاليد القديمة، ومن ثم طرح إمكانية أن التقليد الإسلامي نفسه كان مدينا في جذوره الإبراهيمية الإسماعيلية للتصورات اليهودية المبكرة.

حقيقة الإسلام

ترجع أهمية وثيقة «مقتطف سرياني خاص بغزو المؤمنين لسوريا (٦٣٧)» إلى كونها النص الأول الذي يتضمن إشارة صريحة إلى محمد بالاسم. وربما في وقت سابق للقرآن، على الأقل كوثيقة مكتوبة، كما يظهر أثناء التقدير الزمني لنشوء الأصل القرآني. ولعل هذا هو السبب الأساس لإدراجها في هذا المجلد، رغم أنها تحتوي على معلومات أقل عن حقيقة معتقدات

ويُمارس الباحث ستيفان شوميكر في مؤلفه منهج التحليل التاريخي النقدي، الذي يضع فيه هذه المصادر غير الإسلامية في نفس درجة المصادر الإسلامية، كالقرآن الكريم والسنة النبوية والروايات اللاحقة لظهور الإسلام. وقد تمت كتابة النصوص المختارة ليس فقط باللغتين اليونانية واللاتينية، بل أيضا باللغات السريانية والجورجية والأرمنية والعبرية والعربية، وتشغل نطاقا جغرافيا واسعا يمتد من إنجلترا إلى مصر وإيران. ويعتقد الباحث أن كتابه ذو طابع مرجعي مثالي؛ سواء للفصول الدراسية أو للمكتبات الشخصية، لأنه يوفر للقراء الأدوات اللازمة للتعامل بشكل هادف مع مجال جديد ومزدهر من الدراسات الإسلامية. يقول في هذا الصدد: «يسعى هذا المجلد إلى ملء الفراغ اللافت في المصادر المتوفرة حاليا لدراسة بدايات الإسلام. وقد تم تجميع أهم الشهادات غير الإسلامية لأول مرة في مجلد مستقل لاستيعاب تشكّل الدين الإسلامي أثناء القرن الأول لوجوده. ولطالما كانت ممارسة معيارية في الدراسات الدينية لتوظيف مصادر معاصرة خارجة عن تقليد ديني معين من أجل دراسة تاريخه المبكر، لا سيما خلال عصره التكويني».

ثم إن ستيفان شوميكر يعتقد أن عمله يتمتع بأهمية استثنائية، لأن التقليد التاريخي الإسلامي بأكمله يعتمد على حسابات من قرون لاحقة، غير موثوق بها إلى حد ما، بينما الشهادات التي ينقلها ويترجمها في كتابه تزامنت مع صعود المجتمع الديني الجديد الذي أسسه النبي محمد، وهي كلها من تدوين غير المسلمين. ثم إن هذه الشهادات يؤكد بعضها البعض، وخير دليل على ذلك القدس التي تحظى بوضعية مركزية لدى أتباع محمد. وتتميز هذه النصوص العشرين التي يقتطفها الباحث بالإيجاز؛ حيث يترجم في كل فصل نصا معيناً، ثم يناقشه، ليخلص إلى جملة من النتائج. ونحاول في هذه المراجعة التوقف عند أربعة عناصر جوهرية تحضر، بشكل أو بآخر، في هذه الشهادات، وهي: سياق ظهور الإسلام، حقيقة الإسلام، صورة النبي محمد، والتأثير الكتابي.



الدينية، إلا أنه من المعروف على نطاق واسع أنها مصادر مغرضة ومصطنعة للغاية. ومع ذلك، فإن معظم الدراسات حول محمد ونشوء الإسلام لا تزال تبحث عن هذه المصادر لإعادة بناء مرحلة ظهور الإسلام، ويعتقد الكاتب أنها تحافظ على «نواة تاريخية» موثوقة، رغم أنه يتم تأكيد موثوقية هذه النواة فقط من خلال أمر أكاديمي بدون أي أساس نقدي.

وعلى هذا المنوال، يمضي شوميكر مشككا في مصداقية المصادر التقليدية الإسلامية حول ظهور الإسلام، لا شيء إلا لأنه تم تأليفها في مرحلة لاحقة، في حين تتمتع الوثائق التي جعلها مرتكز كتابه ورؤيته بكونها تزامنت مع ظهور «الحركة المحمدية» من جهة، وأنها صادرة عن مؤلفين غير مسلمين من جهة أخرى. ومن الأكد، أنه من شأن هذه المصادر غير الإسلامية المبكرة أن تغني الدراسات التاريخية الإسلامية أيضا، وتشكل ردا على الأدبيات الاستشراقية التقليدية والمعاصرة التي ما تنفك تشكك في مسلمة الإسلام التاريخية واللاهوتية.

وهذا ما قد ينطبق إلى حد ما على المؤرخ الأرمني سبيوس، الذي قدم النبي محمد والإسلام بشكل موضوعي ومحايدين يكاد يغيب سواء عند من عاصره أو من جاء بعده من المؤرخين المسيحيين. كما أن سفر الرؤيا للحاخام شمعون يوهاي لا يخلو من إشارات «إيجابية» إلى الدين الجديد الذي جاء به النبي محمد. أما ما عداها من الوثائق التي يتضمنها الكتاب فلا تقدم أي جديد موضوعي فيما يتعلق بدراسة تاريخ الإسلام المبكر، بقدر ما تكرر الأحداث نفسها التي ترسخ كون محمد «نبيا زائفا»، وأن الدين الجديد جاء بـ«العنف والخراب»، وأن أتباع محمد «بدو غزاة». وهذه الصور النمطية السلبية سوف يتم تدويرها وإعادة تركيبها عبر مختلف مراحل التاريخ المسيحي إلى عصرنا الحالي.

وأكثر من ذلك، فإن المؤلف ستيفان شوميكر لا يكتفي بترجمة النصوص غير الإسلامية وتضمينها كتابه «الدراسي» كما يصفه لتمكين الطلبة والباحثين والمتخصصين من الاطلاع عليها، بل يعمد إلى ممارسة التحليل التاريخي النقدي عليها، وشغله الشاغل إما تقويض الروايات التقليدية الإسلامية، أو إثبات التأثير الكتابي على نشوء الإسلام، أو وصم الدين الجديد بالعنف والشراسة، أو لي أعناق بعض الشهادات الموضوعية حتى تتسق وطبيعة الفرضية التي يطرحها؛ وهذا ما لا يختلف في شيء عن التعاطي الاستشراقي التقليدي مع الإسلام، الذي يستمر اليوم بجوهره رغم تغير السياق والشروط والتسميات.

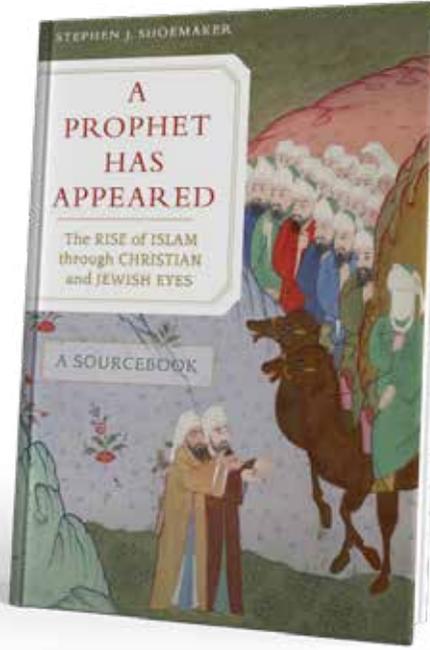
**الكتاب: ظهور النبي.. قيام الإسلام في عيون النصارى واليهود**

**الكاتب: ستيفان شوميكر**

**الناشر: منشورات جامعة كاليفورنيا - 2021**

**عدد الصفحات: 306 صفحات**

\* باحث من أصل مغربي مقيم في بلجيكا



المجتمع الديني المحمدي الجديد.

وتعتبر موعظة حول نهاية التاريخ (حوالي ٦٤٠) لإفريم السرياني من الأهمية بمكان أيضا، ليس لأنها تحمل شهادة على التاريخ المبكر لحركة المؤمنين ونظام حكمهم فقط، بل لكونها أحد أقدم الأمثلة على التصور الأخروي الذي يدمج تصاعد هيمنتهم في رؤيتهم حول نهاية العالم. وهذه التكهانات القوية للإمبراطورية الأخروية، التي هي على وشك إخضاع العالم وتسليم السلطة إلى الله، ضرورية لفهم صعود حركة محمد الدينية الجديدة، وتفكير المؤمنين حيث تحقيق هذه الإمبراطورية كان في الوقت نفسه من صلب طموحاتهم. ويُغذّي هذا قناعة أن العالم سينتهي قريبا وتحل ساعة الحساب. ولا يُستغرب أن تنبثق هذه الحركة الدينية (الإسلامية) الجديدة من بعض الكتابات السريانية، ويبدو أن إحداها قد أثر بشكل مباشر على القرآن وعلى عقيدة الرعييل الأول من صحابة محمد.

عن مصداقية المصادر «غير الإسلامية»

إن الباعث الأساس على تأليف هذا الكتاب هو تقديم منظور جديد لظهور الإسلام المبكر، وهذا من شأنه أن يشكل مقاربة خارجية لبداءات الحركة الدينية المحمدية، لاسيما انطلاقا من مجموعة من الوثائق التي تزامن تحريرها أو تداولها مع ظهور الدين الجديد، ويرى المؤلف ستيفان شوميكر أن كتابه ينفرد بتجميع عدد مهم من الشهادات وتوصيفها وتحليلها. ويتشبه الكاتب بكون نصوص هذه الوثائق جد قديمة تاريخيا، بينما الروايات التقليدية الإسلامية حول نشوء الإسلام، كما هي متضمنة في السير النبوية المبكرة، قد تم تأليفها بعد مرحلة طويلة لاحقة بعد تلك الأحداث. ومن المعروف أن روايات المسلمين غير موثوقة ومحددة بشكل كبير من قبل معتقدات وممارسات الإسلام في العصر العباسي في القرن الثامن وما بعده. وأكثر من ذلك، فالكاتب يرى أنه على الرغم من هذه السير النبوية تتحدث عن معلومات وفيرة ومفصلة عن محمد وبداءات حركته

المسلمين، وأنه يبشر بقدوم المسيح.

ثم يُضيف جيستوس أنه عندما وصل قرية سيكامينا، زار شيخا طاعنا في السن له معرفة بالكتب السماوية، فسأله عن حقيقة النبي الذي ظهر بين أوساط المسلمين. فقال له الشيخ أنه نبي كاذب، لأن الأنبياء لا يأتون بالسيف وعربة الحرب. وفضلا عن ذلك، فإنه عندما حاور إبراهيم بشكل أعمق، سمع من خلاله من الذين التقى بهم، أن هذا الذي يدعي النبوة بعيد عن الحقيقة، وأن ديدنه فقط سفك دماء الناس. وبل من المستحيل أن يكون مفتاحا للجنة كما يزعمون.

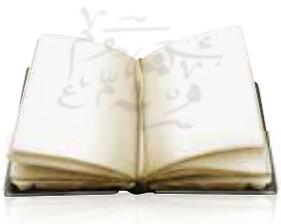
وليس هناك من رد قاطع على هذا التمني السلبى لنبي الإسلام مما جاء في السجل الأرمني لعام ٦٦١ المنسوب إلى سبيوس، الذي لعله يشكل الوثيقة التاريخية الأكثر موضوعية حول نبي الإسلام، وقد جاء فيها: «في ذلك الوقت، ظهر رجل من نفس أبناء إسماعيل، اسمه محمد التاجر، الذي ظهر لهم بأمر من الله كواعظ؛ كدال على طريق الحق. وقد علمهم أن يتعرفوا على إله إبراهيم، لأنه كان عارفا ومطلمعا جيدا على تاريخ موسى. الآن ولأن الأمر جاء من الأعلى (من الله)، من خلال أمر واحد اجتمعوا كلهم معا في وحدة الدين، وتخلوا عن العبادات الباطلة، وعادوا إلى الله الحي الذي ظهر لأبيهم إبراهيم. ثم إن محمدا أقر لهم قوانين: لا يأكلون الخنزير، ولا يشربون الخمر، ولا يتكلمون بالكذب، ولا يزنون».

وما يعزز قيمة هذه الشهادة الصادرة عن المؤرخ الأرمني سبيوس أن شهادته تعتبر على العموم المصدر التاريخي الأكثر قيمة فيما يتعلق بأحداث الشرق الأدنى خلال المنتصف الأول من القرن السابع الميلادي. وهذا ما يؤكد جيمس هوارد جونسون الذي يرى أن قيمة إسهام سبيوس في معرفتنا بالمرحلة المتأخرة من العصور الكلاسيكية القديمة هي أكبر من أي مصدر آخر موجود. ثم إن سبيوس يقدم الإسلام المبكر في سرد تاريخي يخلو من أي تحيز مقارنة بالمؤرخين الذين عاصروه، كما رأينا أعلاه. وهذا ما بؤاه لأن يكون أول مؤرخ غير مسلم يقدم لنا نظرية واضحة وموضوعية عن نشوء الإسلام، أولت اهتماما لما يعتقد المسلمون أنفسهم أنهم يقومون به.

تأثير كتابي

إن التنقيب في جذور الإسلام التاريخية واللاهوتية يعتبر من بين أهم انشغالات المستشرقين الغربيين سواء القدامى أو المحدثين، ولا يقف الحد عند هذا الأمر، بقدر ما يتجاوزته إلى المحاولة الحثيثة لإقرار الأصل الكتابي للقرآن والعقائد الإسلامية وللإسلام بصفة عامة. وهذه ليست عادة مستحدثة، بل تمتد أيضا إلى الأدبيات المسيحية واليهودية المبكرة التي تزامن تحريرها مع ظهور الإسلام، ودليل ذلك هذه الوثائق غير الإسلامية التي عمل كتابها على طمس معالم القرآن والإسلام من خلال تبخيسها أمام ما هو كتابي.

ويذهب مؤلف الكتاب ستيفان شوميكر إلى أن سفر الرؤيا للحاخام شمعون يوهاي الذي يعود إلى ٦٦٠ ميلادية، حافظ على منظور أولئك اليهود الذين أسلموا، وانضموا إلى صحابة محمد، واعتقدوا أنهم جنود الله الذين تمكنوا من تحقيق البشارات التي وعد الله إسرائيل. إنه منظور يهودي حول تكوين



## الجامعات الروسية.. كيف تعمل؟

### ياروسلاف كوزمينوف وماريا يودكيفيتش

#### فيكتوريا زاريتوفسكايا \*

يكشّف لنا هذا الكتاب كيفية نشوء نظام التعليم العالي الروسي، وما إذا كان مجرد اقتباس من النظام الأوروبي واستعارة لأفكار محورية من أنظمة جامعية أكثر نضجاً في أوروبا، أم أنه ظاهرة أصيلة تحمل ما تحمله من ميزات بارزة وإخفاقات عميقة تراكمت عبر التاريخ.

المجتمع المدني كما حدث في معظم البلدان الأخرى. ثمة جزئية مهمة أخرى وهي أن الكنيسة في روسيا القيصرية، ومع أنها كانت جزءاً من نظام الدولة، إلا أن تأثيرها في الجامعات كان ضئيلاً. وبالمقابل، سئى وضوح الدور الذي لعبته الكنيسة والدين في مراحل التعليم الأدنى (بدأ من الصفوف الابتدائية وحتى المعاهد المتوسطة) حيث كانت مادة ما يسمى بقانون الله مادة إلزامية. وعلى عكس الجامعات الأوروبية وحتى الأمريكية، فإن الجامعات الروسية تشكلت بالكامل خارج التقاليد الدينية والكنسية وبنيت فئاتها وسلوكياتها على أسس علمية لا دينية، وبكلمة واحدة فإن اللبنة التي تأسست بها تقاليد الجامعة الروسية تركزت على الجدارة وعالمية القيم والشعور بالمهمة المحورية للجامعة تجاه المجتمعات المحلية والدولة ككل. كما لم تهدف الجامعات الروسية إلى تشكيل النخبة، أي أولئك الذين سيحكمون الدولة. هذه الميزة لا تقتصر على الإمبراطورية الروسية؛ حيث شملت النظام السوفييتي كذلك. ويشير الكتاب إلى فترة الإمبراطورية حيث كان تجنيد القادة والضباط يتم في مدارس خاصة وفي ظل النظام السوفييتي كانت الطبقة الحاكمة تتمخض عبر نظام خاص للمدارس الحزبية. أما الجامعة، فكانت تنشئ النخب المهنية للدولة. ومع أن الخريجين كانوا جزءاً من الدولة، إلا أنهم كانوا متخصصين في مجالاتهم المهنية ولا يتولون مهام الدولة باعتبارها تخصصاً. لقد تربي الطلاب الروس على أفكار التقدم وليس على مفهوم الأمن الاجتماعي. لذلك؛ فقد شكلت الطبقة المتعلمة للدولة الروسية، والسوفييتية فيما بعد، منجماً ثرياً لبناء الدولة والمجتمع. «بالطبع أدى ذلك بصيغته النهائية إلى عدم القدرة على إشراك المجتمع الأكاديمي في حل المشاكل السياسية والإدارية الراهنة» (ص: ١٤).

عريقة؛ فجامعة بولونيا قد تأسست منذ ما يقرب من سبعة قرون، وجامعة باريس كانت موجودة منذ أكثر من ستة قرون، وجامعة هارفارد، ومع أنها لم تكن مشهورة آنذاك، إلا أن قرناً قد مر على تأسيسها. وكان من المتوقع أن تحتل روسيا، بنظامها غير المطور للتعليم الثانوي، مراكز متأخرة لعصور طويلة قادمة. ومع ذلك، وبعد قرن واحد فقط من ظهور نظام التعليم العالي في روسيا، أفصحت الدولة الروسية عن قوة جامعية تتمتع بإمكانات علمية كبيرة ومستوى تعليمي يتوافق مع المعايير الأوروبية الرائدة. وبعد ٥٠ عاماً أخرى، وضمن ظروف تشكل نظام سياسي واقتصادي جديد (النظام السوفييتي)، بدأ العالم يتحدث بإعجاب عن التعليم العالي السوفييتي ونجاحه غير المسبوق. اليوم، في بداية العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، يتابع المجتمع الدولي عن كثب التطور السريع لقطاع التعليم العالي في روسيا والتغيرات واسعة النطاق التي تستجد فيه. ويبدو أن تغييرات جديدة تلوح في الأفق، وما خرج روسيا من نظام بولونيا العالمي للتعليم في شهر مايو للعام الجاري إلا مؤشر لجذرية التغيرات المرتقبة. نرى أن سمات تطور الجامعات الروسية قد ظلت مستمرة وذلك برغم الانقلابات الراديكالية الاجتماعية التي أعقبت الاضطرابات السياسية الكبرى في أعوام ١٨٦١ و١٩١٧ و١٩٩١؛ أي تواريخ إلغاء العبودية والثورة البولشفية وانهايار الاتحاد السوفييتي، وهذا دليل على عمق التقاليد التي تأسس بها نظام التعليم العالي، أما آلية انتقال هذه التقاليد فهي ظاهرة اجتماعية مثيرة للاهتمام وتستحق دراسة مستقلة يقوم بها مؤرخون وعلماء اجتماع. ما هي هذه السمات إذن؟ يرى الباحثان أن أبرز سمة فيها هي أن تأسيس الجامعات الروسية جاء من قبل السلطات وليس عبر

كيفية يتم تنظيم الجامعات وإدارتها في روسيا؟ كيف ولماذا تتغير مهامها وهيكلها وقواعد تمويلها؟ وما هو الدور الذي تلعبه الدولة في سيرورة عملها؟ من يدرس وماذا يُقدّم في جامعات الاتحاد الروسي؟ كيف يتم اختيار وتشكيل كوادرات التدريس؟ وما هو الدور الذي يلعبه العلم في أنشطة الجامعات؟ ترد أجوبة هذه الأسئلة المتمحورة حول «كيف ولماذا؟» والعديد غيرها بين طيات هذا الكتاب الذي يتبنى مؤلفاه مبدأ أن التعليم العالي مرتبط بشكل وثيق ببنية المجتمع: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولا يمكن النظر إليه خارج هذا السياق. ومن جهة أخرى، يؤثر نظام التعليم العالي على المجتمع: من خلال تكوين نخبة فكرية، والمساهمة في الموارد البشرية للجيل الجديد، ونقل منظومة القيم، وتوسيع القدرات الذاتية لأفراد المجتمع. وإلى جانب مناقشتها محصلة التعليم العالي في روسيا عبر تصنيف جداول تحدد معايير الكمية والنوعية والهيكلية والديناميكية، يصف المؤلفان الهياكل الاجتماعية التي يعتمد عليها هذا النظام وكيفية تصميم النظام التعليمي وخصائصه. وينقسم الكتاب إلى فصول عدة، تنقسم بدورها إلى فقرات ليس بوسع هذا المقال أن يستوعبها جميعها لذا اقتصرنا على ما وجدناه أكثر أهمية وراهنية. ففي الفصل الأول، يتناول المؤلفان مؤسسات التعليم العالي في القرن الثامن عشر وتطور التعليم العالي طيلة القرن التاسع عشر. أما الفصل الثاني، فيدور حول مرحلة مهمة في تطوير النظام الشامل للتعليم العالي في الاتحاد السوفيياتي بعد الحرب العالمية الثانية. ويشير الكتاب إلى أنه بحلول منتصف القرن الثامن عشر، إبان تأسيس أول جامعة في روسيا، ولم يكن أساتذتها وعلمائها الجامعيون قد ظهوروا آتئذ بعد، كان للعديد من الدول الأوروبية تقاليد جامعية



العالمي. ويشرح الكاتبان ذلك بقصر فترة الدراسة في المرحلة الثانوية مع أطول إجازة صيفية في العالم عند تلاميذ المدارس الروسية، فبالمقارنة ببعض بلدان العالم، ينتظم تلاميذ المدارس الروسية بما يقل ثلاث سنوات عن نظرائهم في الدول الأخرى. ونتيجة لذلك، يتم دراسة مواضيع مثل اللغات الأجنبية والرياضيات والفلسفة والتخصصات الاجتماعية والاقتصادية... وغيرها من المواد العامة وغير المختصة من قبل الطلاب في سنواتهم الأولى في الجامعة؛ حيث تصل إلى ٢٥٪ من مجموع وقتهم الدراسي. من جهة يعطي هذا مهارات أساسية قوية، ولكن في السنوات الأخيرة يكون النظام غير فعال، فالدوام الكامل يحرم الطالب من فرصة تنفيذ مشاريعه الخاصة واتخاذ نشاطه العلمي المتفرد.

وفي الفصل السادس، يرسم لنا المؤلفان صورة للطلاب الروس وكيفية سير عملية تعليمهم كما يعرضان ماهية حياة الطالب ومراحل توظيف الخريجين. ويحدد الفصل السابع الدور الذي يلعبه أعضاء هيئة التدريس واصفا كيفية ترتيب السلم الوظيفي في الجامعات الروسية. وفي الفصل الثامن، نتعرف على تنظيم العلوم في روسيا وكيفية فصل التعليم العالي عن الممارسة التطبيقية لفترة طويلة وعن محاولات اليوم لسد الفجوة بين التعليم والعلوم الأكاديمية. أما الفصل التاسع، فمُكرس للحديث عن كيفية إدارة الجامعات من داخلها وتأثرها ببرامج دعم الدولة. الفصل العاشر تم تخصيصه لتدويل التعليم الروسي؛ حيث يبين العلاقة بين تنظيم التعليم العالي والمؤسسات السياسية للمجتمع.

وختاماً.. يأتي هذا الكتاب في توقيت مناسب؛ حيث تشهد البلاد تغيرات كبيرة، وكما هو مُنتظر ستؤثر على نظام التعليم العالي الروسي، وربما انفصاله عن نظام بولونيا الجامعي خطوة جامحة تبشر بخطوات أخرى.

**الكتاب: الجامعات الروسية.. كيف تعمل؟**

**المؤلف: ياروسلاف كوزمينوف وماريا يودكفيتش**

**الناشر: دار النشر التابعة للمدرسة العليا**

**للاقتصاد، موسكو - 2022**

**عدد الصفحات: 616 صفحة**

\* أكاديمية ومستعربة روسية



التعليمية التي ظهرت في التسعينيات بلا أي مسمى. هناك شيء واحد مؤكد - لقد أتاح هذا الوضع للملايين المواطنين الروس الحصول على وضع اجتماعي كان بعيد المنال عن آبائهم».

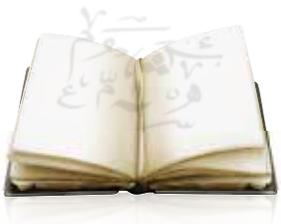
وتتمثل إحدى ميزات نظام التعليم العالي في روسيا في تقسيمه البين على المستوى التعليمي والبرامج المنهجية (مدفوعة الأجر، مجانية، بدوام كامل، بدوام جزئي، بجدول مسائي) ويشرح هذا التباين بشكل شامل اختلاف نوعية الخريجين وجودة وحجم محصلتهم المعرفية. اليوم، ووفقاً للإحصاءات المتاحة في هذا الكتاب، يوجد في روسيا حوالي ٥٠ جامعة رائدة يمكن وصفها بأنها ذات أهمية عالمية إذ تم تضمينها في التصنيفات الدولية، من بينها ١٥ جامعة ضمن أفضل ١٠٠ مادة أو تصنيف صناعي معين.

أما ظاهرة عدد الخريجين البارزين من الجامعات الروسية، الذين جعلت قدراتهم التحليلية والإبداعية من روسيا رقماً عالمياً مهماً، فتعود إلى طبيعة تعليمهم الأساسي والاهتمام الكبير بتكوين الأدوات التحليلية والتفكير المنهجي لديهم.

ويُركز الكتاب على العملية الدراسية نفسها وتعدد المواد الدراسية والفصول؛ فإذا قارنا البرامج التعليمية للجامعات الروسية بمعظم الجامعات الأجنبية، نجد أن النموذج الروسي للتعليم العالي يتضمن فترات أطول لإتقان البرامج وذلك بنسبة ١,٥ مرة أكثر من ساعات الدوام داخل الغرف الدراسية (المحاضرات والندوات والعمل المخبري) من المتوسط

الدراسة، نذكر: التمويل المنخفض للغاية للبحوث العلمية. حيث يعتبر التمويل المخصص لكل طالب للبحث الجامعي في روسيا أقل من مثيله في العديد من بلدان العالم، لكن هذا لا يجعل الجامعات الروسية مؤسسات تعليمية جافة: لا يزال البحث جارياً، لكن مستواه محدود بشكل خطير بسبب عدم كفاية الموارد. ويُعيد الباحثان إلى الأذهان مسألة التعليم السائد في الجامعات الروسية؛ حيث لا يشكل التعليم التطبيقي فيها أكثر من ٢٠٪ من الميزانية، كما أن عناصر البحث والمشاريع تبقى غير متطورة في هذه الجامعات. وهناك أيضاً الفرص المحدودة للنشاط الاقتصادي والاستثماري للجامعات الروسية؛ وذلك بسبب وضعها الاقتصادي القانوني، مع أن هذا أمر تقتسمه روسيا مع عدد من الدول الأخرى. وليست الحال أفضل فيما يتعلق بحرية الأنشطة التعليمية للجامعات فهي محدودة بدورها؛ إذ تمثل للمعايير التعليمية الحكومية.

ويضع الباحثان القارئ أمام صورة شاملة للتعليم العالي في روسيا مدعومة بالنسب والجداول التوضيحية. هناك، بادئ ذي بدء، نسبة اعتناء ساكنة روسيا بتحصيل أبنائهم على مستوى عال من التعليم حيث تصل نسبة هؤلاء إلى ٨٠٪ من إجمالي السكان. هنا بمقدورنا القول إن التعليم العالي ما زال مؤشراً قوياً للوضعية الاجتماعية تماماً مثلما كان الحال في الاتحاد السوفياتي وما قبله، وما زال التعليم العالي موجهاً حاسماً للسلوك الاجتماعي وتحسين حياة الفرد وترقيته في المجتمع. يعود ذلك إلى حقيقة تميز اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية بظاهرة الحراك الاجتماعي الهائل، أي إمكانية الترقية السريعة للفرد على أسس المساواة بين الجميع والتي تم ضمانها من خلال عدد من العوامل المستقرة طويلة الأجل: فالتعليم المدرسي يشمل الجميع والتعليم المهني العالي يمكن الوصول إليه بسهولة. ولكن الأمر تغير حينما مُنحت مؤسسات التعليم العالي الحق في تقديم خدمات تعليمية مدفوعة الأجر في العام ١٩٩٢م؛ أي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي مباشرة ودخول عناصر التجارة في المؤسسات التعليمية، حينئذ ارتفع عدد الطلاب الذين يتلقون تعليماً عالياً بعد المدرسة مباشرة إلى ٥٠٪، وهنا «سيساورنا الشك في جودة الكفاءات المهنية لخريجي الجامعات والبرامج



## النظرية النقدية والمادية الجديدة تأليف جماعي

### علي الرواحي \*

يجمع هذا الكتاب بين كُتَّاب من تقاليد فكرية تطورت بشكل عام حتى الآن، بشكل مستقل عن بعضها البعض: النظرية النقدية والمادية الجديدة، كما يتناول الاختلافات الأساسية والصلات المحتملة الموجودة بين هاتين المدرستين، مع التركيز على بعض الأسئلة الأكثر إلحاحاً في الفلسفة المعاصرة والنظرية الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص، تلك المتعلقة بحالة الفصل طويل الأمد والمتنازع عليه بين المادة والحياة: البيولوجي والرمزي، السلبية والفاعلية، والعاطفة والعقلانية؛ حيث يوضح أن التطورات الأخيرة في كلا التقليدين تشير إلى تقاربات مهمة بينهما؛ وبالتالي تمهد الطريق لمزيد من المواجهة المباشرة والتلاقح المتبادل؛ وذلك بهدف تعزيز الحوار بين النظرية النقدية والمادية الجديدة. كما تستكشف هذه المجموعة من المقالات الآثار المترتبة على المناقشات المعاصرة حول البيئة والجنس والسياسة الحيوية وما بعد الإنسانية والاقتصاد وعلم الجمال.

لها. وتُشير التطورات الأخيرة في النظرية النقدية والمادية الجديدة إلى تقارب محتمل بين هذين التيارين الفكريين. على الرغم من أصولهما المختلفة، فقد حاول كلاهما التشكيك والتغلب على قيود العقلانية المتمركزة حول الإنسان. ومع ذلك، لا تزال هناك اختلافات مهمة في طريقة تقدم كل هذه التيارات في هذا الصدد. في حين أن المنظرين النقديين المعاصرين يفهمون في الغالب مهمتهم على أنها مهمة تكملية أو توسيع حدود فكر التنوير من خلال اللجوء إلى التقاليد الأخرى، يسعى الماديون الجدد إلى تطوير استجابات أكثر جذرية للفكر الحديث ومشاركة مباشرة أكثر مع الطبيعة المتشابكة للمادة، والحياة والتأثير والتكنولوجيا. ونتيجة لذلك، غالباً ما يظهر أولئك الذين يعملون في مجال النظرية النقدية لمناصري المادية الجديدة على أنهم محاصرون كثيراً في منظور يركز على الإنسان واللغة، في حين أن الأخير كثيراً ما ينظر إليه الأول على أنه يتخلى بسهولة عن الفروق المهمة بين الإنسان والطبيعة غير البشرية، والوجود والمظهر، ونظرية المعرفة والأنطولوجيا. ومن ثم، فإن حقيقة أن هذين المجالين الفكريين يشتركان في التزام أساسي لتجاوز العقلانية المتمركزة حول الإنسان، ولكن تنفيذ مثل هذا المشروع باستراتيجيات فكرية متميزة للغاية، يوفر أساساً لمناقشات بالغة الأهمية في الفلسفة المعاصرة والنظرية الاجتماعية.

ومع ذلك، فمن المدهش أنه حتى الآن لم تكن هناك محاولة جادة للانخراط في مثل هذا النقاش. يكمن جزء من السبب في ذلك تحديداً في الاستراتيجيات المختلفة التي يستخدمها هذان التياران الفكريان في جهدهما المشترك لتجاوز حدود مشروع الحداثة المستنيرة. على الرغم من اتفاقهما في الهدف، إلا أن المسارات التي اعتمدها كل منهما تختلف اختلافاً جوهرياً. في حين أنه من الصحيح أن كلا من النظرية النقدية والمادية الجديدة يتميزان بخلافات داخلية، فإن أساس كل منهما يكمن في مجموعة مميزة من الافتراضات المعرفية والأنطولوجية والعملية. هذه، في الواقع، بعض الأبعاد التي يمكن أن يُنظر فيها إلى النظرية النقدية والمادية الجديدة على أنها تتبنى مواقف متباينة أو حتى متعارضة تماماً؛ وبالتالي تشكل المناقشات المعروضة في هذا الكتاب، وتحدد جوهر خلافاتهم في هذه المجالات، وكذلك موضع التقارب المحتمل بينهم، في مفاهيمهم المختلفة عن الطبيعة.

والحيوي والعاطفي يخاطر بحرمان النظرية النقدية من الأسس العقلانية التي أنشأتها للنقد الاجتماعي. ومن هذا المنظور، فإن الميول الجديدة في هذا المجال تشبه نظريات ما بعد البنيوية التي انتقدها هابرماس في الخطاب الفلسفي للحداثة (1990م). وتتمثل إحدى المصالح الرئيسية في هذا النقاش فيما إذا كان مثل هذا التوجه الذي يتجاوز العقلانية يؤدي إلى اتجاه محافظ لا مضر منه أو ما إذا كان سيؤدي إلى رؤية ونقد أكثر راديكالية للحياة الحديثة.

وفي هذا الصدد، قد لا يكون التشابه المؤذي بين المنعطف «الرومانسي الجديد» في النظرية النقدية ونظريات ما بعد البنيوية غير متسق، بل قد يثبت أنه منتج مثمر للمقاربات النقدية.

وفي مقابل ذلك، حدث تحول مماثل نحو الطبيعة والحياة والتأثير في نقاشات ما بعد البنيوية والنسوية والعلوم والتكنولوجيا في النصف الثاني من التسعينيات، والتي تضمنت عدداً من النظريات التي كان روزي بريوتي (1994) ومانويل ديالندا (1996) أولهما للإشارة إلى «المادية الجديدة» أو «المادية الجديدة»؛ حيث تميزت هذه المساعي بمحاولة واضحة -بالتوازي مع جهود المنظرين النقديين المعاصرين فيما يتعلق بمجالهم- للتحرك أبعد من حدود «المنعطف الغوي». فالسمة المميزة لهذه الأعمال هي، قبل كل شيء، إشكالية الثنائيات التي تطورت تماشياً مع خيوط الفكر الحديث، خاصة تلك التي تم تحديدها مع التنوير، في مصطلحات مقيدة وهرمية إلى حد ما: المادة مقابل الحياة، الحياة البيولوجية مقابل: الحياة الرمزية، السلبية مقابل الفاعلية، والعاطفة مقابل العقلانية.

وفي مواجهة هذه المفاهيم المزدوجة، شرعت كارين باراد (2007م) في إعادة تأطير العلاقات بين البشر وغير البشر على أنها «علاقات داخلية، في حين شككت جين بينيت (2010م) في التمييز الأساسي بين المادة والحياة؛ من خلال اقتراح منظور حيوي نقدي»، كما شككت إليزابيث غروز (Elizabeth Grosz) في الحدود بين الحياة البيولوجية والرمزية. والنتيجة الأخرى لهذا التداخل بين المجالات التي تعتبر منفصلة بشكل عام هي أن إمكانات ما بعد الإنسانية التي أثارها التطورات التكنولوجية الجديدة يمكن اعتبارها -في كل من آثارها السلبية والإيجابية- في استمرارية مع المادة والحياة والتأثير وليس ببساطة في مقابل

وينقسم العمل لثلاثة فصول مترابطة ومختلفة في نفس الوقت؛ ففي الفصل الأول يناقش طبيعة النظرية النقدية، في حين أن الفصل الثاني يتحدث عن قوى المادة والحياة وتأثيرها، كما يتطرق الفصل الثالث لنقد المادية الجديدة.

وفي مقدمة لثلاثة باحثين من ضمنهم وربما أهمهم الفيلسوف الألماني هارتموت روزا Hartmut Rosa ممثل الجيل الرابع للنظرية النقدية، يرون بأن النظرية النقدية ولدت من روح المادية التاريخية «القديمة»، حيث كان يُنظر إليها في كثير من الأحيان، وبشكل متناقض تماماً، على أنها تتخذ مسافة مضرة تجاه المادية والبيولوجيا للعالم؛ وذلك من خلال فهم نفسها على أنها استمرار للمشروع ما بعد الميتافيزيقي «غير المكتمل» للتنوير الكانطي، فقد رسخت مؤخراً أفقها السياسي في ممارسات الاتصال العقلاني بين الذات (يورغن هابرماس)، والاعتراف (أكسل هونيث) والتبرير أو التسوية (راينر فورست). على الرغم من اختلافاتهم، فقد تم انتقاد هذه المقاربات لأنها تحمل مفاهيم بشرية عن الطبيعة والأفكار العقلانية للمجتمع، والتي تنبع في النهاية من اعتمادها على التقليد الفلسفي للمثالية الألمانية. ونتيجة لذلك، يجادل النقاد بأن الجوانب المادية والحيوية والعاطفية لعالمنا قد تم تجاهلها أو إخضاعها لعمليات تناوئية للتفكير المعياري. كما سعت الأعمال الحديثة ضمن النظرية النقدية إلى التغلب على هذه القيود من خلال اللجوء إلى التقاليد الفكرية الأخرى، وعلى الأخص من خلال إعادة فتح النقاش حول ما يمكن تسميته «المشروع غير المكتمل» للرومانسية. طرح مفهوم التصادي -يفهم على أنه علاقة تجاوب ثنائية الاتجاه تتمثل في التأثير بشيء خارجي، إضافة للقدرة على الوصول إلى شخص ما أو شيء ما ونقله «إلى الخارج»- عن طريق هارتموت روزا (2019) أنشطة وعلاقات جسدية للعودة إلى الطبيعة بقوة أكبر في النظرية النقدية، مما يؤسس اتصالاً محتملاً بخيوط الفكر التي طورها الرومانسيون.

أدت هذه التطورات إلى توترات داخلية وسلسلة من المناقشات الجديدة داخل النظرية النقدية. وفي الواقع، شعر العديد من المدافعين عن «المشروع غير المكتمل» بحركة التنوير بالقلق من أنه قد يكون هناك شيء محافظ في جوهره حول مثل هذا الابتعاد عن الديناميكيات الذاتية للتواصل العقلاني والاعتراف والتبرير. ومن وجهة نظرهم، فإن التركيز المتزايد على المادي



وهرمية ومنفصلة ولكنها «أحادية» ومنفتحة على العديد من العلاقات والتغيرات في العالم الذي نحن جزء منه. تُعزى الأزمة البيئية، واخضاع النساء، والاعتراض الواسع النطاق إلى التفكير الذي حط من قيمة الأمور غير البشرية بشكل خاطئ كأشياء مية أو عمليات لا معنى لها؛ نظراً لأن خصومها الأساسيين هم نظرية المعرفة (على وجه الخصوص كانط)، والمادية «القديمة» (هوبز، ونيوتن، وأماركس وإنجلز) والأنطولوجيا الثنائية (المنسوبة إلى ديكرت أو، مع لاتور، أو إلى «الحدائثة» ككل)، في بعض الأحيان يبدو كما لو أن المادية الجديدة ترغب في التغلب على العقلية النقدية الحديثة أيضاً. كما نجد أن هناك بعض التحفظات الصريحة بالفعل، على الأقل ضد النقد الذي يقارن بين المعايير العقلانية «الجيدة» والواقع التجريبي «السيئ»، أو الإنسانية «الجيدة» والتكنولوجيا «السيئة».

وتتفاعل المادية الجديدة ومشكلة الطبيعة مع المادية الجديدة كنهج علمي اجتماعي. فهي لا تهتم بالطبيعة المهتدة، كما هي الحال في النظرية النقدية، ولكن بالأحرى مع أزمة الطبيعة في الممارسة وتجاهل القضايا البيئية في النظرية الاجتماعية. في كلا الأمرين، يبدأ المؤلفون الماديون الجدد بالتشكيك في تبعية الطبيعة. الدافع الأساسي هو التشكيك في الثنائيات التي تميز الفكر والممارسة الحديثين. حيث يُنظر إلى الحدائثة على أنها مبنية على أساس معارضة مفاهيمية مركزية: تلك بين المادة والروح، حيث يظهر الأول ليس فقط على أنه متميز ولكن أيضاً تابع للأخير. فالروح تعني النشاط والقيمة والتعالى؛ فالمادة سلبية ولا معنى لها. بالنسبة للماديين الجدد، تشرح هذه الثنائية كلاً من حدود الفكر الحديث ومشكلاته العملية في القضايا البيئية والعرقية والجنسانية، من بين أمور أخرى. ولهذا السبب من الضروري مساءلته أو تجاوزه على النقيض من الفكر الإنساني الثنائي أو حتى المتعالى السائد في الحدائثة، حيث تقترح المادية الجديدة فلسفة أحادية جوهرية تركز على المادة وتمتنع عن تصور الأخيرة على أنها شيء خامل ومقدر أن تصوغ الروح. النقطة هنا ليست مجرد التأكيد على أحد القطبين (المادة) على حساب الآخر (الروح)، بل بالأحرى تجاوز ازدواجية ذاتها التي تؤسسها كأقطاب. لا ينبغي أن يكون هناك «ترتيب للأولويات»، ولا أساس؛ إنها ليست مسألة طرح مسألة ضد الروح (أو العكس) ولكن التفكير فيها في تأكيد متبادل أو تكوين مشترك وهكذا، بدلاً من ثنائية الطبيعة / الروح، ما يظهر هنا هو «الثقافة الطبيعية» أو «الخطاب المادي» أو «السيمائية المادية». بدلاً من التفاعل بين العناصر المحددة بدقة والمتناقضة، هناك «تفاعل داخلي» مستمر للقوى والأمور في مختلف الحالات ودرجات التماسك.

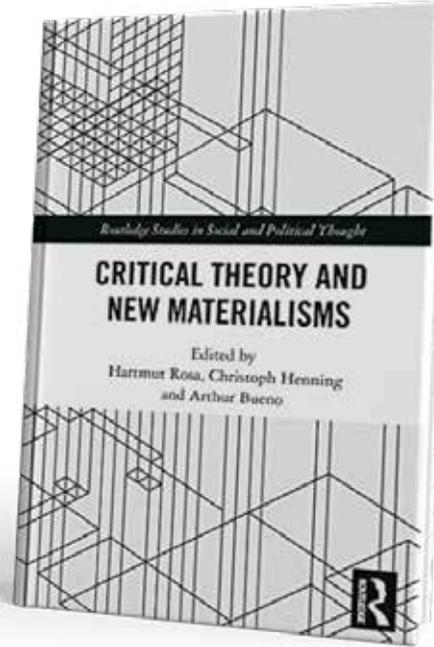
## - الكتاب: النظرية النقدية والمادية الجديدة

- المؤلف: تأليف جماعي

- الناشر: Routledge - 2021

- عدد الصفحات: 216 صفحة

\* كاتب عماني



(كالعقل، أو الروح، الثقافة أو المجتمع) هو أنه في الأخير فقط يُمكن تأسيس «عالم الحرية». ففي معظم التوجهات الراديكالية من هذه الفلسفات، امتد مجال الحرية ليشمل الطبيعة أيضاً. ومع ذلك، طالما أن هذا الشكل الروحي للحرية لم يتحقق بالكامل، فإننا ننتهي (على الأقل) بكينائين: الطبيعة والمجتمع، أو الطبيعة الأولى والثانية. وفي الواقع، كما أدرك برونو لاتور (2004) بحق بروح الدعابة السوداء، يمكن تفسير النظرية النقدية في القرن العشرين جزئياً على أنها لعبة «تنقية»: كل الجوانب المتجسدة في المجتمع (الدولة والاقتصاد والطبقات والقوالب النمطية العرقية، أوار الجنسين والأعراف السلوكية) يجب نزعها عن طبيعتها وتجريدها من الواقع من أجل «تحريرها» من لعنة الحتمية والقمع. يبدو الدافع واضحاً: ضد الطبيعة، حيث تتجلى هذه العقلية من هيغل إلى ماركس، ومن لوكاش إلى أورتونو ومن فوكو إلى جوديث بتلر، وقد أصبحت مهمة في العديد من النظريات الاجتماعية في العقود الماضية وحتى اليوم. نتيجة لذلك، أصبح عالم الطبيعة غير ذي صلة من الناحية النظرية - تقريباً كصورة معكوسة للعملية المستمرة للحاويات الرأسمالية والتدمير البيئي في «الأماكن الخارجية العظيمة». أحد الآثار الجوهرية لهذه العملية هو أن الخيوط الناتجة عن النظرية النقدية لم يكن لديها الكثير لتقوله عن الأزمة البيئية، ما لم يتمكنوا من إظهار أن مثل هذه الأزمة ليست «طبيعية» بل بالأحرى «معيارية». الأمر الذي أثار اهتمام هابرماس بالحركة الخضراء - على سبيل المثال - هو الحركة وليس التفكير «الأخضر» الذي نشأ.

وفي مقابل ذلك، تطوّرت المادية الجديدة في الكتابات بشكل رئيسي من النسوية ما بعد البنيوية، لكنها أيضاً مستوحاة من مناهج في مجال دراسات العلوم والتكنولوجيا؛ حيث كان الهدف ترك التقاليد الفكرية المحدودة بما يبدو على أنه «ثنائيات» بين نظرية المعرفة والأنطولوجيا، وكذلك بين مجالات مختلفة من الوجود مثل الطبيعة والثقافة، والعقل والمادة، أو الحياة والتكنولوجيا؛ فهي تطمح لرؤية عالمية جديدة لا مركزية لم تعد بشرية،

وبالنسبة للنظرية النقدية، فإن «الطبيعة» هي جوهر المشكلة. فلفترة طويلة في التاريخ، بدا أن اضطهاد واستغلال الفقراء والنساء والعمال والأقليات، وكذلك الاشتباكات بين القوى السياسية التي جلبت الدمار والبؤس للكثيرين، كانت حقائق طبيعية؛ حيث تم تناول هذه الظواهر من قبل الاقتصاد السياسي - من هوبز إلى مالتوس وما بعده- باعتبارها قابلة للتفسير عن طريق «القوانين الطبيعية». كان النظام الاقتصادي الذي يُلقي باللوم على المجتمع الطبقي يتطور بضرورة حديدية لا ترحم، كما لو كان يُنفذ من قبل قوارض بشرية تتحكم فيها الغرائز الطبيعية، بحيث ظهر أيضاً كجزء من الطبيعة (ولا يمكن أن يأتي الخلاص إلا من فوق، من خلال التدخل المسيحي، الذي تصورته الاشتراكية المبكرة وكذلك العلماء اللاحقون مثل والتر بنيامين من منظور ديني).

ووفقاً لذلك، اعتبرت العلوم التي تتعامل مع هذه العمليات «الطبيعية» من العلوم الطبيعية؛ إما صياغة قوانين غير قابلة للإلغاء (كما فعل الاقتصاد السياسي) أو جمع الظواهر الاجتماعية (لوضعها). ومع ذلك، كانت المفاهيم الاجتماعية الداروينية التي طرحت ضد الليبرالية منذ أواخر القرن التاسع عشر فصاعداً أكثر ضرراً على الشرائح الضعيفة من السكان من القهر الليبرالي للدولة الحديثة وللمجتمع وللأقتصاد. واعتمدت هذه على أفكار الطبيعة التي بدت أكثر قسوة وصعوبة من الأفكار الليبرالية (على الرغم من أن هناك الكثير ممن تناولوا استمراريتها لاحقاً). وقد تم تفسير الانتقاء الطبيعي في نهاية المطاف على أنه «صراع عنصري»، بحيث يمكن أن يظهر الفصل حسب اللون وال«عرق» أو حتى الإبادة الجماعية كظواهر طبيعية. في مثل هذا السياق، كان يُنظر إلى مهمة «النظرية النقدية» على أنها تتمثل في التراجع عن الثبات «الطبيعي» للمعتقدات الراسخة والعادات الاستبدادية والمعايير الجنسية والعرقية وما إلى ذلك.

وفي ظل هذه الظروف، غالباً ما افترض التفكير التقدمي أنه من أجل إفساح المجال للحرية والتحرر، يجب تقليص عالم الطبيعة. بينما أدى ذلك في الممارسة العملية إلى هيمنتها من خلال التكنولوجيا التي يحركها العلم واستغلال «الموارد» الطبيعية ومصادرتها، وهذا يعني من الناحية النظرية نزح التحييد عن القوى الدافعة لمثل هذه العمليات، أي إزالة الغموض عنها والكشف عن «طبيعتها» الحقيقية - التي لم تعد طبيعية. بالنسبة للنظريات النقدية، كان وراء تلك الديناميكيات غالباً محفزات غير طبيعية، أشياء أكثر إنسانية واجتماعية، أكثر مرونة وقابلية للتغيير: العقل، في حالة كانط، أو الروح في البديل الهيغلي، أو حتى - تغيير بسيط فقط من هذا المنظور - الثقافة والمجتمع. ويُمكن رؤية كيفية «إضفاء الروحانية» على هذه الرؤية المناهضة للطبيعة للمجتمع عن طريق التركيز القوي على المعيارية والعقل في المناقشات الأخيرة داخل النظرية النقدية. باختصار، بالنسبة للجزء الأكبر من القرن العشرين، فإن الانتقاد يعني إلغاء البعد الطبيعي، وأن يكون معنى التفكير النقدي أن تكون غير طبيعي.

وما يربط بين هذه الأساليب المختلفة تجاه طبيعة أخرى



## المرأة والتقنيات الإنجابية.. التنمية الاجتماعية والاقتصادية للتقنيات التي غيرت العالم أيت بيرفوت وديريا غونغو

محمد بن علي الإسماعيلي \*

يُقدّم كتاب «المرأة والتقنيات الإنجابية: التنمية الاجتماعية والاقتصادية للتقنيات التي غيرت العالم» دراسة اجتماعية وتاريخية لتطور تقنيات الإنجاب؛ إذ يركّز على التطورات التكنولوجية الرئيسية من طريق عدسة الطب الحيوي مع إيلاء اهتمام خاص للجنس باستخدام الإخصاب؛ فإنه يفحص بشكل نقدي المجالات الرئيسية للتطورات الاجتماعية والتقنية ذات الصلة؛ هي: العلوم الإنجابية، وتحديد النسل، وتربية الحيوانات، وعلم الوراثة، والطب التناسلي؛ باستخدام إطار عمل نقدي لإلقاء الضوء على الخطابات السائدة.

مر السنين في معنى ووظيفة واستمرار التكاثر البشري.. فعادة، تأتي رعاية النساء من قبل نساء أخريات في أثناء الحمل وفي أثناء الولادة وفي الأشهر التي تأتي بعدها. وقد كن على دراية ومعرفة بهذه الوظيفة؛ وينقلن خبراتهن إلى نساء أخريات - باعتبار أنهن مجهزات بالمعرفة والخبرة المتوارثة عبر القرون- إذ تم تزويدهن بالمعرفة بالعلاجات العشبية، وتقنيات المساعدة في الولادة وإدارة جسم الإنسان. ورغم أنه جاء تقديم مفهوم وأولويات الطب الحديث على أنه فائدة يجب أن يتمتع بها جميع السكان، فإن حالات الحمل الصحية والولادات الآمنة لجميع المواطنين تعد مؤشرات مهمة للتقدم الاجتماعي في وقتنا هذا. كما أن تقديم الرعاية الصحية، بما في ذلك الإنجاب المحيط، يندرج بشدة تحت وسائل المؤشرات الاقتصادية للدول، ويختلف بين مجموعات سكانية محددة داخل الدول وبين ما يسمى بالدول المتقدمة والنامية. وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي المعلن للطب الحديث هو رفاهية الأفراد، بيد أن التاريخ البربري للعناية الطبية المبكرة في القرن التاسع عشر بالسكان العبيد الذين هم من أصل إفريقي، يوضح كيف تحدد الفائدة المالية للممارسة الطبية (التي تشمل في هذه الحالة مالكي العبيد والأطباء الطموحين والاقتصاد الأمريكي). وفي سياق تقصي المؤلفتين للرعاية الطبية للنساء أثناء فترة الحمل والولادة، وجدنا أن الفئات المهمشة من النسوة لم تجد تلك العناية اللازمة؛ بسبب احتكار الرجال البيض وسيطرتهم على مهنة الطب وممارساتها؛ ضاربين عرض الحائط بالمبادئ المعاصرة للعلم.

إن السيطرة الاجتماعية على التكاثر معقدة، فهي تنبض باستمرار في ظل الطبيعة والفضرة البشرية، بيد أن الحماية الحكومية والعائلية ومتابعتها لهذا الموضوع تعزز عدم المساواة القائمة بين الأشخاص المتميزين بالعرق والجنس والدخل والمعتقد الديني... وما إلى ذلك. في الوقت

من هذا ممكناً قبل التقدم العلمي. إلا أن ذلك ليس دليلاً مباشراً للتطوير والاكتشاف التقني، ولكنه يثير أسئلة متصاعدة في العلاقة بين التكاثر الجنسي ودور التقنية المعاصرة في توطيده وتطويره. لقد خلصت أفكارهما إلى أن تفسير التكاثر البشري عدّ تبادلًا بيولوجيًا بين الرجال والنساء؛ إلا أن التطور التقني في هذا المجال أحدث تحولًا كبيرًا منذ سعي الحضارة اليونانية القديمة إلى عصر النهضة الأوروبية لحل لغز التكاثر البشري تجريبياً؛ فقد أدت الممارسات الدوائية في علم التشريح البشري -جنباً إلى جنب مع التحسينات في التقنيات المثلية، خاصة المجهر في القرن السابع عشر- إلى تقريب الفهم الواضح لنظريات التكاثر البشري إلى الكيفية التي نحن بصدها اليوم، هي: أولاً من حيث المكونات التناسلية: الخصيتين، والمبيضين، والحيوانات المنوية، ثم أخيراً البويضة، إلى أن ظهر اكتشاف الأنظمة الأساسية لعمل هذه الأجزاء، بما في ذلك التغذية والتواصل (الدم، ثم الخلايا)، والتنشيط (الأعصاب، ثم الهرمونات)، والوراثة (الجينات) بيولوجياً من كلا الوالدين. فيما أشارت النظريات إلى التطور المبكر والحديث الحاصل معاً في عملية التكاثر؛ وقد تميّزت الأديان الرئيسية في ذلك الوقت باعتبار المعتقدات الذكورية صميم الحياة الاجتماعية التي تؤثر بشكل كبير على إدارة التكاثر البشري، رغم أن السعي العلمي المبكر لشرح الجوانب الدنيوية للتكاثر البشري المرتبط بالأرض في سياق أنظمة تلك المعتقدات لم يفلت من تأثيرها.

لقد أصبح الحمل والولادة جزءاً مهماً من الممارسة الطبية التي يتم التعامل معها على أنها مصدر قلق طبي أكثر من كونها جزءاً روتينياً من حياة الإنسان؛ لذا اتجهت المؤلفتان لدراسة عملية المعالجة الطبية الحديثة للحمل والولادة. دون أن نغفل عن أن الفلاسفة الطبيعيين، ثم العلماء المعاصرين والممارسين الطبيين فيما بعد، تجادلوا على

ويسلط الكتاب الذي بين أيدينا للمؤلفتين: الباحثة أيت بيرفوت متخصصة في دراسات العلوم والتكنولوجيا التي لها علاقة بتقنيات الإنجاب والهندسة الوراثية وعلم التشريح البشري والتصنيع والفكر الاجتماعي النسوي والثقافة البصرية، والباحثة ديريا غونغو إحصائية نفسية اجتماعية وثقافية ومستشارة متعددة الثقافات. يسلط الضوء على أمثلة المقاومة الاجتماعية، فضلاً عن الاستجابات المتناقضة لتقنيات الإنجاب الجديدة في أكثر من ثمانية فصول، كما تدرس المؤلفتان التاريخ الاجتماعي للتكاثر والنشاط الجنسي، وتقنيات الإنجاب من القديم إلى الحديث، والمناقشات في التقنيات الإنجابية الجديدة والهندسة الوراثية. وتولي النساء والتكنولوجيا الإنجابية اهتماماً وثيقاً للترابط بين أعمال التكاثر وصناعات النسخ المتماثل، والتفاعل الاجتماعي للتكاثر -بما في ذلك التوازن الإنجابي- وما تشغل عليه التقنيات نفسها.

وعلى هذا النحو، فإن الكتاب يشكل قراءة أساسية للطلاب والباحثين في مجالات علم الاجتماع والدراسات الصحية ودراسات النوع الاجتماعي المهتمين بالحالة الراهنة للتكاثر البشري.

ويناقش الفصل الأول من الكتاب النظريات الإنجابية بين الماضي والحاضر، مبيناً التغيير الكبير الذي لحق بمفهوم التكاثر الجنسي مع مرور الوقت؛ تحديداً منذ القرن العشرين، الذي شكّل حقبة مهمة في نموذج تطور نظرية الممارسة الإنجابية؛ إذ لا يشير إلى اكتشاف جينوم بشري كامل (المعلومات الجينية الفريدة لكل إنسان) وترميزه، ولكن أيضاً تحقيق ما يقرب من 100٪ من وسائل منع الحمل البيوكيميائية الفعالة والحمل خارج الجسم. لقد قدّمت الدراسات المتتابة الكثير من الأبحاث عن التكاثر والنسخ الجيني لنقل الأجزاء التناسلية البشرية من جسم إلى آخر، وتجميد هذه الأجزاء وتخزينها وفحصها وتعديلها وراثياً قبل وضعها في حيز التنفيذ؛ إذ لم يكن أي



الاصطناعي بنسبة تصل إلى ٢٥٪). كما أن احتمالية وجود أجزاء وأجنة بشرية وأجنة أطفال أنابيب اختبارات خارجية قابلة للتحويل؛ وهذا التحوّل أوصل المتخصصين الآن إلى نقطة قبول اجتماعي؛ لذا يتم الآن إجراء عمليات التلقيح الاصطناعي بشكل روتيني و متاح في جميع أنحاء العالم. كل ذلك مقابل سعر مرتفع نسبياً، كما يمتد القبول المتزايد للعلاج ببدائل النيكوتين إلى الهندسة الوراثية البشرية بما في ذلك التلاعب بالأجنة. وقد عدّ هذا مقبولاً في الموازنة بين المخاطر والفوائد. وهذه ليست مسألة تكاثر فحسب، بل أيضاً مسألة استنساخ تم بشأنها إطلاق العنان لقدرة الخلايا الجذعية، وكشف النقاب عن الغاز بويضة المرأة؛ لذلك يتطلب الموضوع اهتماماً علمياً عالمياً يستفيد من العلوم الوراثية البشرية والهندسة الإنجابية.

وبمجرد ظهور العلاج ببدائل النيكوتين، كونه شيئاً يمكن للممارسة الطبية تناوله، تحدثت أصوات منتقدة للمشكلات المستمرة المتعلقة بإضفاء الطابع الطبي على الإنجاب، خاصة بالنسبة للنساء. وشمل ذلك مستوى التجريب والتدخل في التناسل الأنثوي الذي يمكن أن يسبب ضرراً فردياً، والمسائل المتعلقة بحقوق الوصول إلى التقنيات المتعلق بأوجه عدم المساواة الهيكلية القائمة على الطبقة والعرق والوعلة، والأرباح الكبيرة على استخدام الهرمونات التناسلية، وعقود تأجير الأرحام، وجمع الأمشاج والأجنة البشرية وتخزينها ونقلها. وهناك أرباح لا يمكن تصورها في تسخير قوة علم الوراثة.

إن المطالع لرموز ومنحوتات ما قبل التاريخ المتقنة عبر الأفكار الأولى المسجلة بشأن التكاثر، ومراحل الصعود والهبوط في فهم هذا النشاط الأساس والغامض لتلك المرأة التي تعد لدى المجتمع الذكوري أدنى منزلة من الرجل من حيث معنى الإنجاب، سيجد أن الطب انتقل من تفتيت أجزاء جسم المرأة وميكانيكيته وهندسته... هذه الأنثى التي انتفخ جسدها ووضعت الطفل، إلى أن بدأت النساء في التعرض لبدائل فحص النيكوتين للجنس والتكاثر والتطور التكنولوجي.

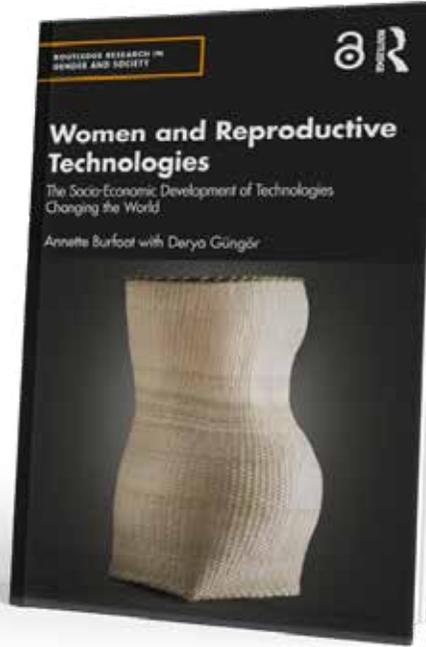
**الكتاب: المرأة والتقنيات الإنجابية.. التنمية الاجتماعية والاقتصادية للتقنيات التي غيرت العالم**

**الكاتب: أنيت بيرفوت وديريا غونغو**

**الناشر: روتليدج، دار نشر بريطانية متعددة الجنسيات - 2022**

**عدد الصفحات: 154 صفحة**

\* كاتب وباحث عماني



والألبان. وهذا الذي دفع الخبراء والمختصين إلى الممارسة الطبية بهدف التلقيح الصناعي والهندسة الوراثية. ومع احتمال السيطرة على الأمراض المروعة المرتبطة وراثياً، كان العائق الآخر هو معدلات النجاح الأولية المنخفضة بالممارسة التجريبية لتحسين التقنيات الجراحية والصيدلانية الأكثر كفاءة والأسهل تحكماً في الممارسات المساعدة المتبعة للحمل. وقد اتبعت الهندسة الوراثية والوعود المصاحبة لها التلقيح الاصطناعي والتقنيات الملحقة به طوال الوقت، كما استمرت الهندسة الجيولوجية في جذب تكهنات واهتمام المترقبين للتطورات الأخرى في تقنيات التلاعب الجيني. وفي الوقت نفسه، نجد أن شركات الأدوية تمتلك نصيباً مثيراً للإعجاب في ممارسة الإنجاب المساعد، وتحقق أرباحاً كبيرة من العيادات ومنافذ بيع الأدوية المطلوبة للمشاركة في الإجراءات. وتشير الدراسات طويلة المدى إلى التأثيرات المحتملة على صحة الأطفال المولودين من الإجراءات المتبعة في عوامل المساعدة تقنياً على الحمل إلى ارتفاع مستويات الشذوذ الجنسي.

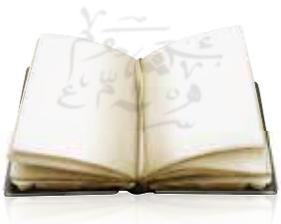
وأثبتت التدفقات العالمية الإنجابية أن لائحة التقنيات الإنجابية الجديدة والهندسة الوراثية من الصعب مراقبتها قانوناً؛ لذا يتطلب من الدول أن تتفاعل بمجرد تحديد التدفق الضار المحتمل. ويوضح تاريخ تشريعات العلاج ببدائل النيكوتين كيف أنها تميل إلى متابعة التطور العلمي والتنفيذ التكنولوجي والتفاعل معه. وهناك أيضاً لازمة شائعة الآن مفادها أن العمل المحضوف بالمخاطر في العلاج ببدائل النيكوتين والهندسة الوراثية للأجنة البشرية المزروعة مسبقاً يستحق الفوائد الطبية الموعودة، بما في ذلك العمل على العقم، على الرغم من قلة الإدراك لتلك الفوائد (يظل أعلى معدل نجاح لعمليات التلقيح

نفسه، تقيّد السكان غير المرغوب فيهم - عادة يتم وصفهم بأنهم غير منتجين اقتصادياً، ويشكلون تهديداً للبيئة والسلامة العالمية، أو غالباً ما يكونون من أصحاب البشرية السمر أو السود، ويؤثرون بشكل طبيعي على الثروة الاقتصادية العالمية، ومعدلات الاستهلاك والتعليم العالي. ومع ذلك، يتشبث الناس بتأكيد قدرتهم على الإنجاب رغم تلك العوائق.

وقد أفرزت تلك الإرهاصات عدداً من الظواهر غير الطبيعية؛ مثل: توجه النساء إلى التلقيح الذاتي، وتوجه النساء والرجال مثليي الجنس إلى تحطيم القدرات الإنجابية الفطرية؛ لمساعدة بعضهم بعضاً على تكوين عائلات خارج النسق المغاير، والانتقال بحذر بين التقاليد والعادات. وقد تمكن عدد من الأطباء من مساعدة النساء في السيطرة على إنجابهن رغم العقوبات القانونية المفروضة؛ بداعي أن العلاج الطبي الحديث للحصول على أفضل ما يخدم الحوامل ويخدم أطفالهن، لا يتم فيه دائماً التحكم في التكاثر من طريق تمرير القوانين، بل ولا تحمي جميع القوانين الحقوق الإنجابية لجميع الأشخاص، إذ لا تبدو العدالة الإنجابية كما هي في كل مكان، وليست هي ذاتها للجميع.

وتشير الدراسات إلى أن السنوات الخمسين الماضية لها تأثير مهم على التنشئة الاجتماعية بين الجنس والتكاثر، خاصة في الدول المتقدمة. أولاً: تمكن الطب الحديث من منع التكاثر من الناحية التكنولوجية؛ وذلك مع ظهور وسائل منع الحمل الفعالة والمتاحة على نطاق واسع، خاصة حبوب منع الحمل. أما على المستوى البصري، فكان هناك تحرير لمتطلبات الحد من ممارسة الجنس بين الجنسين للزواج، تبعه إلغاء تجريم المثلية الجنسية والتحرك نحو إزالة وصمة العار ومناهضة التمييز ضد غيرية الجنس. وبحلول الألفية الجديدة، برزت اعتبارات لسياسات إنجابية جديدة، مثال ذلك: خدمة الأشخاص المثليين في تأكيد جنسهم ومساعدة العائلات غير المغايرة جنسياً على إنجاب الأطفال، كما طوّرت هذا النظام أيضاً معايير جديدة للأبوة التي تتم إدارتها بطريقة علاجية دوائية حديثة (تعليق الخصوبة وانخفاض الحيض واستمرار النشاط الجنسي حتى سن الشيخوخة). بينما ظهرت تقنيات الإنجاب الجديدة في المشهد وسط كل هذا، كذلك الطب المساعد على الإنجاب وإنشاء نظام جديد يسمى: النسخ المتماثل.

لقد أدت الدوافع الطبية لعلاج مشكلات العقم ومسبباته إلى إضفاء الطابع الخارجي على المفهوم البشري والسمح بتوزيع الأمشاج والأجنة البشرية؛ وذلك في عصر تقنيات التكاثر الجديدة من التلاعب المتطور ذي الدوافع التجارية للتكاثر في الحيوانات التي تغذي صناعات اللحوم



# من الشعوب إلى الأمم.. تاريخ أوروبا الشرقية جون كونيلى

## زينب الكلبانية \*

هذا الكتاب هو تاريخ سردي شامل لأوروبا الشرقية من أواخر القرن الثامن عشر إلى اليوم. في ثمانينيات القرن الثامن عشر، أصدر ملك هابسبورج جوزيف الثاني مرسوما يقضي بأن تصبح اللغة الألمانية من الآن فصاعدا لغة مملكتها. كانت نيته إقامة دولة موحدة من ممتلكاته الشاسعة والمتباينة، لكن عمله كان له تأثير معاكس، حيث حفز ظهور القوميات المتنافسة، بين رعاياه المجرين والتشيكيين وغيرهم، الذين كانوا يخشون أن تضع لغاتهم وثقافتهم. وفي هذا التاريخ السردى الشامل لأوروبا الشرقية منذ أواخر القرن الثامن عشر، يربط جون كونيلى قصص شعوب المنطقة المتنوعة، ويخبرهم كيف، على مستوى عميق، ممن لديهم فهم مشترك للماضي.

غير العادية للقومية، التي اعتنقها الأوروبيون أنفسهم، والتي بدورها وجهت تطورهم وأبقتهم متميزين عن جيرانهم، الشرق والغرب. من المؤكد أن تحليله كونيلى للمنطقة سيكون له قوة دائمة.

ويأخذ عمل كونيلى نطاقا كبيرا بشكل مذهل حيث يشرح، ويقارن تطور القومية في العديد من المجموعات العرقية الأوروبية، مما يدل على فهم ممتاز للعديد من اللغات السلافية بالإضافة إلى الألمانية والهنغارية. تعتبر حالات القوميات التشيكية والبولندية والهنغارية والكرواتية والصربية جوانب أساسية لأي عمل حول التاريخ الحديث لأوروبا الشرقية، ولكن كونيلى يعمل جيدا أيضا، لاستكمال هذه الحالات من خلال استكشاف تطور القومية بين المجموعات، التي تتميز بشكل أقل بروزاً في تاريخ المنطقة، بما في ذلك السلوفاك والرومانيين.

ومع ذلك، هناك بعض المشكلات المتعلقة بمجموعة مواضيع كونيلى التي يجب مواجهتها. على سبيل المثال، على الرغم من منح مساحة كبيرة في كتابه للتحقيق في تطور القومية بين السلاف الجنوبيين، فإن المؤلف يتجاهل بشكل واضح مثال السلوفينيين، الذين صراعهم القومي الوجودي ضد الألمان النمساويين والإيطاليين، وكذلك يستمر كضاحم من أجل تعزيز لغتهم في مواجهة هذه الأعراق المتنافسة، في إشارة الخلاف والجدل السياسي في يومنا هذا. ساعد السلوفينيون، مثل الكروات، في الريادة في تطوير لغة (موضوع مهم لكونيلى في كتابه)، وهوية السلاف الجنوبيين، كما تم تقييدهم في دولة يوغوسلافيا، التي يهيمن عليها الصرب بالقوة بعد الحرب العالمية. ساعد الصراع العرقي بين الألمان النمساويين والسلوفينيين في ستيريا وكارنثيا خلال الجمهورية النمساوية الأولى، أيضا في إلقاء عدد من أكثر النازيين النمساويين شرا. لا تزال منطقة الحدود النمساوية-الإيطالية-السلوفينية مثيرة للجدل عرقيا؛ حيث لا يزال النضال من أجل حقوق اللغة السلوفينية والراديكالية اليمينية المتطرفة النمساوية، ذا أهمية كبيرة اليوم. وبالنظر إلى المساحة التي يستخدمها كونيلى للأعراق الأخرى في جنوب السلاف، كان من الطبيعي أن يدرس السلوفينيون

إلا أنه لا يتجاهل الوكالة الفردية. ويتألف الكتاب من سبعة وعشرين فصلا مرتبة ترتيبا زمنيا، تتناول كيفية تطور التفكير القومي في مختلف شعوب أوروبا الشرقية، وما هي النتائج المترتبة على ذلك. بشكل معقول، ليست كل اللحظات والمواضيع تشمل جميع اللاعبين. على الرغم من أن العمل يستحق أن يُقرأ من الغلاف إلى الغلاف، إلا أن طوله يعني أن البعض قد يتعمق في بضعة فصول، من المحتمل أن يكون الجزء المتعلق بالهولوكوست والتعاون، «ما لم يراه دانتي»، والتحليل الختامي للديمقراطية الليبرالية المعاصرة، «أوروبا الشرقية تنضم إلى أوروبا». لا ينبغي للقراء، مع ذلك، إهمال الفصل الخامس «القوميات المتمردة»، عن تقاليد التمرد الصربية والبولندية الموازية أو الفصل الحادي عشر «يوتوبيا الفلاحين»، الذي يعرض إبداع حق التصويت للفلاحين الكروات والبلغاريين. هناك أيضا نقاشان مزدوجان حيويان أساسيان: حول الفاشية الأصلية ومناهضة الفاشية في الفصلين الرابع عشر والخامس عشر، والنهائيتين المتباعدتين للحرب الباردة في شمال شرق وجنوب شرق أوروبا في الفصلين الخامس والعشرين والسادس والعشرين. وأهمية مناهضة أوروبا الشرقية الأصلية للفاشية كدليل على القوة الإبداعية القومية أمر حيوي.

وتعود مناقشة كونيلى مرارا وتكرارا إلى مواضيع مختلفة: قوة الأفكار، مرونة اللغة، مسألة الفلاحين، «إضفاء الطابع الآخر، على الأقليات، والعنف. نهج الحرب مميز. يُنظر إلى تقاليد التمرد في المقام الأول، في علاقتها بصناعة الأساطير الوطنية. وتعتبر حروب البلقان، والحرب العالمية الأولى بشكل روتيني، مع أصدائها أكثر أهمية من القتال نفسه. وقد تمت تغطية الحرب العالمية الثانية، مع احتلالها النازي والسوفيتي المطول، وتشجيع الإمبراطوريات المحلية، والكوارث الديموغرافية، بالتفصيل. يتم تصوير الشيوعية ليس فقط على أنها مستورد أجنبي، ولكن كسلسلة من إعادة صياغة وطنية إبداعية (إذا لم تنجح) للتوجهات السوفيتية، وعادة ما تثير دعر موسكو.

وبرفض سوء الفهم المشترك للمنطقة باعتبارها مجرد ألعوبة للإمبراطوريات، تشهد أوروبا الشرقية على القوة

أدى التاريخ القديم للغزو والهجرة، إلى تحويل المنطقة إلى مشهد ثقافي، يتسم بالتنوع غير العادي، وهو خليط يعيش فيه السلوفاكيون والبوسنيون، وعدد لا يحصى من الآخرين. جنبا إلى جنب، وحيث غالبا ما كان لدعوات الاستقلال الذاتي الوطنية آثار دموية بين الأعراق المتشابهة. يتتبع كونيلى صعود القومية في الأراضي البولندية والنمساوية المجرية والعثمانية، وإنشاء دول جديدة بعد الحرب العالمية الأولى، واستيعابها لاحقا من قبل الرايخ النازي والكتلة السوفيتية، وعودة ظهور الديمقراطية، والحركات الانفصالية بعد انهيار الشيوعية، والاندفاع الأخير في السياسات الشعبوية في جميع أنحاء المنطقة.

وبسبب هذه التجربة المشتركة للاضطرابات، فإن الأوروبيين الشرقيين هم أناس لديهم شعور حاد بعدم استقرار التاريخ، إنهم يعرفون أن الأمم ليست أبدية، بل تأتي وتذهب؛ وفي بعض الأحيان تختفي. من الشعوب إلى الأمم، يروي هذا الكتاب قصتهم.

إن التحدي الأول للمجلد هو رسم الحدود. يعمل هذا كونيلى بعناية، مستهدفا «مجموعة البلدان، المحاطة ببحر البلطيق، والبحر الأسود، والبحر الأدرياتيكي والحدود الزاحفة للإمبراطوريات البروسية / الألمانية والعثمانية / التركية والروسية / السوفيتية. إن راديكالية السياسة المجرية والقومية المجرية، التي عرفت نفسها أولا ضد آل هابسبورج الألمان، ثم بحر من السلاف، تسرق الأضواء. البولنديون والصرب، أيضا، يُنظر إليهم بإسهاب، خاصة في القرن العشرين. يوسع السلوفاكيون والكروات والرومانيون والبلغاريون القصة، ويأخذون بعين الاعتبار أهمية الصهيونية، والمجتمعات اليهودية في المنطقة. يدخل الأوكرانيون والألمان أيضا في السرد، ويظهر الغجر بشكل عابر. توفر معاداة السامية بين المجموعات الوطنية الناشئة نقطة للمقارنة، حيث لم تكن كل معاداة السامية في أوروبا الشرقية (أو هي) نفسها. تُصوّر معاداة السامية البولندية على أنها تتمتع بقوة معينة، لأنها استفادت من اللغة؛ لتوحيد مالكي الأراضي والفلاحين ذوي الاهتمامات المختلفة بشدة ضد «الآخر» المشترك. على الرغم من أن كونيلى يغازل القومية باعتبارها «حتمية» وقوة طاغية،



الخبرة، يقدم كونيلي نهجا جديدا ومثيرا للاهتمام لفهم قومية أوروبا الشرقية مصمما خصيصا لأنماط التنمية الثقافية والاجتماعية والسياسية في المنطقة. قد يقدر العلماء المتخصصون أيضا فحص كونيلي للحركات القومية الأقل استكشافا، مثل السلوفاك أو الرومانيين. علاوة على ذلك، يشير عمل كونيلي إلى أن مشاعر انعدام الأمن القومي استمرت بعد ظهور الدول الجديدة «للشعوب الشقيقة»؛ فالسلوك المعادي للسامية والعرقى المتشدد للدول العرقية السلوفاكية والكرواتية والرومانية خلال الحرب العالمية الثانية، على سبيل المثال، يوحى بانعدام الأمن العميق بشأن بقاء الأعراق الأصغر دون أمة تاريخية واضحة، يتعين عليها مشاركة مساحة عرقية غامضة مع الآخرين.

ومع ذلك، فإن منهجية كونيلي العامة أقل إبداعا من حجته؛ إذ إن عمله كثيرا ما يقترب من أنماط «تاريخ الرجل العظيم»، حيث يكون السرد التاريخي مدفوعا في الغالب بشخصيات ذكور في مناصب النخبة، مثل الأوساط الأكاديمية أو القيادة السياسية. يحاول المؤلف تجنب هذا بحجة أن الحركات القومية في دراسته كانت حتمية إلى حد ما، حتى لو كانت الشخصيات التي دافعت عنها مختلفة عن تلك التي دافعت عنها تاريخيا؛ وهذا يتعارض بشكل خطير مع الحقائق المضادة. ومع ذلك، تشير الكتابة الفعلية للمؤلف إلى أن أحداثا مهمة حدثت بسبب القرارات التي اتخذها رجال مهمون. قد يختلف مؤرخو هابسبورج في المدرسة التحريفية أيضا مع حتمية كونيلي القائلة، بأن الحركات نحو الاستقلال الوطني كانت مسألة حقيقية، لا يمكن منعها، بالإضافة إلى تصويره للنمسا-المجر التي يعمل بها شخصيات سياسية كانت على حد سواء غير كفؤة، ولا حول لها ولا قوة في التعامل مع أزمة القومية.

ونظرا لنطاق كونيلي الواسع ونهج التأريخ الأكثر تقليدية، سيكون هذا الكتاب أعظم فائدة للباحثين الجدد الذين يدرسون تاريخ وسياسة أوروبا الشرقية، وسيخدمهم كمقدمة مفيدة للموضوع. ويغطي أهم أمثلة الحالات بتفاصيل قوية ونثر متدفق. يقدم بشكل مناسب أهم الشخصيات الفكرية والسياسية في هذه المنطقة خلال نطاق فترة كتاب كونيلي ويلتزم بشكل واضح ومتسق بمواضيعه الرئيسية في جميع فصوله. على هذا النحو، يعمل الكتاب كنقطة انطلاق قوية من حيث يمكن للعلماء الطموحين البدء قبل الخوض في دراسات أكثر تفصيلاً عن دول أو أحداث معينة.

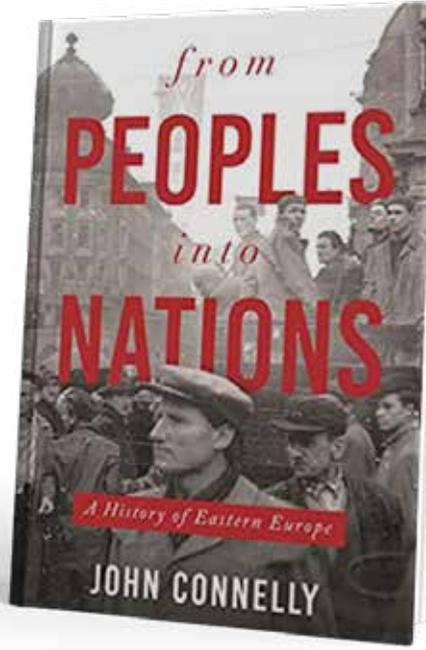
**الكتاب: من الشعوب إلى الأمم.. تاريخ أوروبا الشرقية**

**المؤلف: جون كونيلي**

**الناشر: مطبعة جامعة بريستون - 2022**

**عدد الصفحات: 968 صفحة**

\* كاتبة عُمانية



المصير القومي القوة العنيفة للكرهية العرقية، التي أظهرها النازيون الألمان في الأربعينيات، والحروب اليوغوسلافية في التسعينيات؟ يقدم كونيلي بالمثل إجابة مفادها أن القومية لم تكن أبدا مسألة سلمية تماما عندما تم تطيرها دائما في ضوء الانقراض العرقي الوشيك، حتى في وقت مبكر من القرن الثامن عشر. على الرغم من محاولة كونيلي فصل مفاهيم قومية أوروبا الشرقية عن متغيرات أوروبا الغربية، لا يمكننا أن ننسى أن الصرخة الحاشدة للقومية الفرنسية المبكرة خلال فترة اليعاقبة كانت «الوطن في خطر»، لذلك يوضح كونيلي أن المدافعين عن القومية بين التشيك والبولنديين والسلوفاك أو غيرهم، أدركوا أن ثقافتهم ولغتهم معرضة لخطر الإبادة من التعدي الخارجي، وبالتالي، لم يكن التعاون مع الجماعات العرقية الأخرى خيارا، وفي بعض الحالات، كانت خيانة صريحة.

ومن هنا، يقدم كونيلي أيضا مساهمة جديدة في فهمنا لأصول الفاشية، بدءا من التأريخ الأوثي، الذي يؤكد بداياتها في إيطاليا من خلال اقتراح أن الظروف الاجتماعية والسياسية، في بوهيميا والمجر، عززت أيضا ظهور الفاشية، حتى لو لم تتطور أبدا. مواطن مشهور ومستمر في أي من البلدين، وكان لا بد من إعادة تقديمه من قبل القوة الأجنبية لألمانيا. يتذكر القارئ أنه من خلال الصراع الفوضوي ذهابا وإيابا بين الألمان والتشيك في بوهيميا خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإن الألمان البوهيميين (والمجتمع الأوسع للنمساويين الألمان) الذين شعروا بالخطر الوجودي بسبب تطور اللغة التشيكية. شكلت القومية فصيلها القومي المتطرف للدفاع عن هويتهم، والتي تطورت لتصبح حزب العمال الوطني الاشتراكي الألماني.

من الشعوب إلى الأمم بمثابة مساهمة قوية في مجال دراسات أوروبا الشرقية والقومية. بالنسبة لعلماء القومية ذوي

بجانهم، وغياهم ملحوظ بشكل واضح.

وبالإضافة إلى ذلك، يتساءل هذا الكتاب عن التضمين المفاجئ على ما يبدو لألمانيا الشرقية كمثال حالة ضمن قسم الحرب الباردة؛ نظرا لأن الموضوع الأساسي يدور حول القومية في الغالب بين الأعراق السلافية والمجرية والرومانية، فإن إدراج ألمانيا الشرقية كان غير مناسب من الناحية الموضوعية للعلم؛ لم يتم استكشاف ألمانيا سابقا كحالة وطنية باستثناء عندما ينسب كونيلي الأسس الفلسفية لقومية أوروبا الشرقية إلى مفكرين ألمان مثل هيجل وهيردر.

كان من الممكن أيضا استخدام مشاكل العولمة كنقطة انطلاق للتحقيق في القومية في المجال السياسي المعاصر لأوروبا الشرقية؛ حيث صاغ القادة السياسيون مثل فيكتور أوربان أيديولوجيتهم السياسية، على أنها دفاع عن السيادة الوطنية والثقافية ضد التعدي الأوروبي، والولايات المتحدة. على أي حال، يبدو أن كونيلي ينظر إلى تكامل الاتحاد الأوروبي باعتباره صافيا إيجابيا، من حيث بناء الديمقراطية، وتعزيز الرخاء الاقتصادي، مع وصف التكامل بأنه «عودة إلى أوروبا»، مما يشير إلى أن هذه العملية كانت عملية طبيعية. ومع ذلك، فهذه نتيجة غير متوقعة تتعارض، من بعض النواحي، مع وعد المؤلف بالتحقيق في سلبية أوروبا الشرقية تجاه الاتحاد الأوروبي في نهاية مقدمته، حيث استشهد بتصريح ليفيكتور أوربان، قائلا إن «بقاء الأمة السلوفينية» يعتمد على انتخاب مرشح مناهض للاتحاد الأوروبي. بدلا من مناقشة كيف يمكن أن يكون الاتحاد الأوروبي تهديدا محسوسا للبقاء العرقي، يفضل كونيلي التحدث عن المتظاهرين المؤيدين لأوروبا في بودابست، وكذلك علاقات أوربان الوثيقة مع بوتين ودعوات رئيس الوزراء المجري لحماية الهنغارين العرقيين في أوكرانيا، الدولة التي لم يتم تناولها بأي تفاصيل محددة في أي مكان آخر من الكتاب.

وخلافا لذلك، يلتزم كونيلي باستمرار بموضوعه الأساسي للجنسية، على أنه يتم تعريفه من خلال اللغة، ومفهوم الخطر العرقي المستمر، على الرغم من صعوبة اكتشاف هذه الأفكار، بمجرد ظهور الدول القومية المعنية خلال أقسامه في فترة ما بين الحربين والحرب الباردة. يعود جزء من سبب هذه الصعوبة؛ إلى أن الخطر المباشر للانقراض اللغوي والثقافي يضعف، بسبب وجود دولة قومية يمكنها تعزيز تطوير لغتها العامية، مع توفير القوة اللازمة لتأكيد السيادة العرقية. إذا كان هناك أي شيء، فإن طرد الألمان من تشيكوسلوفاكيا وبولندا بعد عام 1945، على سبيل المثال، كان من الممكن التأكيد عليه بقوة أكبر كمثال. حيث اتخذت الدولة خطوات فعالة لضمان سلامة العرق المهيمن بشكل نهائي، عن طريق إزالة مجموعة عرقية كان يُنظر إليها على أنها مصدر دائم للمعارضة منذ تشكيل الفكرة القومية.

وفي هذا الصدد، يسلم نهج كونيلي للقومية الضوء على جانب رائع يملأ فجوة فكرية في طريقة فهم القومية: كيف تصبح فكرة القومية التي تبدو «مسألة» في إطار تقرير

# إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

## جذور الكتاب

المؤلف: فيليبو رونكوني  
الناشر: دار EHESS - باريس  
تاريخ النشر: 2022  
عدد الصفحات: 276



بينما تسهم الثورة الرقمية في إضفاء الطابع المادي على ممارسات الكتابة والقراءة، يظل الكتاب في جوهره المادي، في الماضي كما في الحاضر، موضوعاً اجتماعياً كلياً. نجد في الكتاب الكثير من المتدخلين والممارسات والمواد التي أسهمت في تشكيل كتاب العصور الوسطى القديمة واستخداماتها. ومن أقدم النسخ الجدية أو من القماش إلى الألواح الخشبية اليونانية والرومانية المتعددة، ومن لفائف البردي في مصر إلى المخطوطات من العصور الوسطى، هناك المئات من النسخ التي أنجزت بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الثالث عشر الميلادي، والتي درسها فيليبو رونكوني في ضوء المصادر الأدبية والوثائقية اليونانية واللاتينية والعربية. وبذلك سلط هذا التحقيق الضوء على المثابرة والانقطاع الذي اتسم به إنشاء هذه المخطوطات وتداولها واستخدامها، وأحياناً إتلافها. وبناء عليه تمكن من الكشف عن تاريخ متجدد للكتاب، لا يسلط الضوء على العصور القديمة والوسطى فحسب، ولكن أيضاً على المكانة المركزية لهذا الكائن في بناء المجتمعات الحديثة والمعاصرة.

## أفريقيا في المستقبل

المؤلف: أنتوني مانجيون  
الناشر: دار هارمان باريس فرنسا  
تاريخ النشر: 2022  
عدد الصفحات: 296



يركز الكتاب على القصص الخيالية والتقارير المستقبلية التي وصفت مستقبل أفريقيا منذ القرن التاسع عشر. ويبدأ الكتاب بعرض تقديمي للأفرومستقبلية، وهو تيار معاصر مكثس للبحث في مستقبل أفريقيا، أنتج بشكل أساسي الأفارقة والأوروبيين والأمريكيين، وأحياناً المستقبليين، وأحياناً مؤلفو الخيال العلمي، بما في ذلك العديد من الأعمال التي يمكن العثور عليها على مواقع الفنانين أو في المدونات أو البودكاستات. ومع ذلك؛ فهي تستمد جذورها من خيال أفريقي أكثر قدماً؛ حيث درس أنتوني مانجون أهم إنتاجاته بالتفصيل، من خلال استحضار أعمال مجهولة في بعض الأحيان، وأعمال أخرى أكثر شهرة. لا يسعى المؤلف إلى إثبات أن المتخيل الأفريقي تنبئي، بل يسعى المؤلفون المعاصرون إلى إعادة تنشيط مخيلات الماضي. هناك حاجة إلى تعليم إعلامي جديد اليوم، يريد أن يكون القرن الحادي والعشرين قرناً أفريقياً، حيث سيكون مستقبل البشرية على المحك قريباً. ولكن ما هي الأشكال التي سيتخذها الأفارقة في المستقبل؟ هل مستقبل أفريقيا سيكون جنة أم جحيماً؟

## فلسفة الرماية دراسة عن المفهوم الرواقي للقيمة

المؤلف: ساندرين الكسندر  
الناشر: دار EHESS - باريس  
تاريخ النشر: 2022  
عدد الصفحات: 290



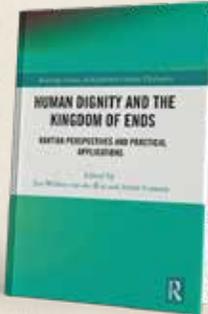
إن الإشارة إلى المصطلح ومفهوم "القيمة أو القيم" لا يثير في عصرنا الحالي أدنى استغراب أو تعجب لأن تقييم الذات هو تأكيد للذات وتعبير عنها، ولكنه يشير أيضاً إلى الذات على خريطة العالم الاجتماعية والسياسية، وبعبارة أخرى تمحيص الذات للمعنى المزوج للمصطلح كما يقترح برنارد هاركور حول الشبكات الاجتماعية. سيكون التقييم هو الصورة الرمزية الجديدة لتقنيات الطاقة في العصر الرقمي، أي أن كل ممارسة للمقاومة، عندما تقوم على الادعاء والترويج لمفهوم (أخر)، ستكون جزءاً من اللعبة التي تنوي شجبتها. وبالتالي تصبح إمكانية المقاومة ذاتها مستبعدة، ما لم يكن هناك فصل الحكم عن الأفضلية. ما لم نعترف، ربما، بالقيم بشكل مستقل عن التقدير الذاتي الذي يتصوره الأفراد لها. هذا ما اقترحه الرواقيون القدامى به إبان عصرهم وهذا هو جوهر الفكر الرواقي حول التقييم - الذي أعيد صياغته ليصبح "أداة التقييم" التي يهتم بها هذا الكتاب المهم.

... إن مسألة معرفة المفاهيم والممارسات المحددة التي يشير إليها الرواقيون الهلنستيون عند الحديث عن القيمة والحكم والطريقة التي يعبرون بها عن هذين الجانبين، مما يعني معالجة موضوعات غنية مثل علم الأسيولوجيا وعلم النفس، ونظرية الفعل ومذهب الأهواء. تكمن أهمية هذا التحليل في ضوء غياب الأعمال المكرسة بشكل خاص لمسألة القيم في الدراسات الرواقية، وبرز ذلك الهدف الأسمى للبحث لكي يكون له نطاق فلسفي من المحتمل أن يساهم في نقد أسلوب تفكيرنا وتصرفاتنا.

## اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

### كرامة الإنسان ومملكة الغايات (منظورات كانبوية وممارسات عملية)

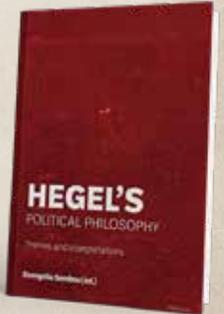
المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف بان-ويلم فان دير رجت وأدم كورتون  
دار النشر: راولدج  
سنة النشر: 2022



موضوع "كرامة الإنسان" موضوع لا يستند في كل الأزمنة؛ لا سيما في زمن ازدياد فيه الوعي بامتثال هذه الكرامة. ومنذ أن خرج على آباء الكنيسة الفيلسوف الإيطالي بيكو الميرندولي بكتابه "في كرامة الإنسان" (1486)، على الأقل، صار التأليف الفلسفي في الكرامة تقليداً فلسفياً بدورته. والكتاب الذي بين أيدينا بحث في أمور ثلاثة تتعلق بالكرامة الإنسانية: طبيعة هذه الكرامة، والأسس التي تستند إليها، وحدود القول بها. وذلك كله بالاسترشاد بالفيلسوف الألماني كانط (1724-1804) صاحب أشهر المقالات في الكرامة الإنسانية والمدافع كرامة الشخص البشري والداعي إلى معاملته بوصفه "غاية في ذاته" ضد كل منزع إلى توسيله (تحويله إلى مجرد وسيلة، معاملته على أنه وسيلة إلى شيء آخر). ولئن بقي بحث كانط في الكرامة البشرية بحثاً نظرياً، فإن ما يتميز به هذا الكتاب هو التركيز على الجوانب العملية والتطبيقية من نظرية كرامة الإنسان: طبيعة حقوق الإنسان، ومن ضمنها الحق في المعاملة معاملة كريمة، ومسوغات هذه المعاملة، ومضمون المبادئ الخلقية في معاملة الإنسان الإنسان، وأهمية المثل الخلقية في حياة الإنسان العملية.

### فلسفة هيغل السياسية (مواضيع وتأويل)

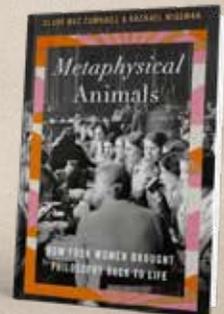
المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف إيفنجليكا سمبو  
دار النشر: بيتر لانج  
سنة النشر: 2022



لكل فيلسوف عمران: عمره الطبيعي، وعمر ذكره بين خلفه. ويبدو أن الفيلسوف الألماني هيغل (1770-1831) سوف يكون من أطول الفلاسفة أعماراً عند الخلف؛ شأنه في ذلك شأن العديد من الفلاسفة الخالدين، من أفلاطون إلى كانط. ذلك أنه لا تمر أشهر معدودات دون أن يصدر كتاب عن هيغل. وهذه المرة صدر كتاب عن جانب مهم من جوانب فلسفته الأخطبوط المتاهة التي شجبتها وليم جيمس بالمصيدة وتحديث فوكو عن هاجس المعاصرين في الانفلات من قبضتها. هو فلسفته السياسية. كتاب: "فلسفة هيغل السياسية: مواضيع وتأويل". فحص في مختلف موضوعات فلسفة هيغل السياسية ومحاولة إيجاد تأويلات مستحدثة لها. وهو يتضمن ثمان مقالات لباحثين دوليين مختصين في هذا الشأن مدارها على فلسفة شباب هيغل ونضجه معاً، من كتيبه الأول عن "القانون الطبيعي" (1803-1802) إلى كتابه الأخير بهذا الشأن: "فلسفة الحق" (1821)؛ وهو يأتي في إطار الجدل الذي أثاره الاحتفال بالذكرى المائتين لصدور كتاب فلسفة الحق (1821-2021).

### حيوانات ميتافيزيقية (كيف أعادت أربع نساء الحياة إلى الفلسفة)

المؤلف: كلير ماك كوهيل وراشيل وايمان  
دار النشر: دابلداي  
سنة النشر: 2022



من السمات التي انطبعت بها الفلسفة المعاصرة تأنها؛ أي ازدياد عدد الفيلسوفات في انتقام لحواء الفيلسوفة التي لطالما نبذت في تاريخ الفلسفة، والذي عادة ما كتبه ذكور. وهذا الكتاب فريد من نوعه؛ إذ التفتت صاحباته إلى سيرة فيلسوفات أربع - إريس مردوخ وفيليبا فوت وإليزابيث أنسكومب وماري ماجدلي - في وقت انشغل فيه رجال أكسفورد بالقتال في الحرب العالمية الثانية. وقد أتلفت هؤلاء الفيلسوفات الصديات لتطوير فلسفة يمكنها أن تستجيب لأدلك وجوه الحرب، وذلك يوم لم تعد لا فلسفة فلاسفة التنوير من عظماء الماضي، ولا فلسفة فلاسفة المنطق فجر القرن العشرين، ولا فلسفة الوجوديين الجديدة تقدر على فهم ما جرى من جموح للطبيعة البشرية ونزوع إلى التدمير. وكان مشروعهم يتمثل في إحياء الفلسفة من جديد، أمام هول ما جرى؛ وذلك بحكم أننا - معشر البشر - "حيوانات ميتافيزيقية". أي مخلوقات قادرة على مسائلة كينونتها الحقة: ترى، من أكون؟ وما الحرية؟ وما الخيرية البشرية؟ وقد اعتقدت فيلسوفاتنا أن الجواب الذي نقدمه، هو ما يشكل ما نصير إياه.